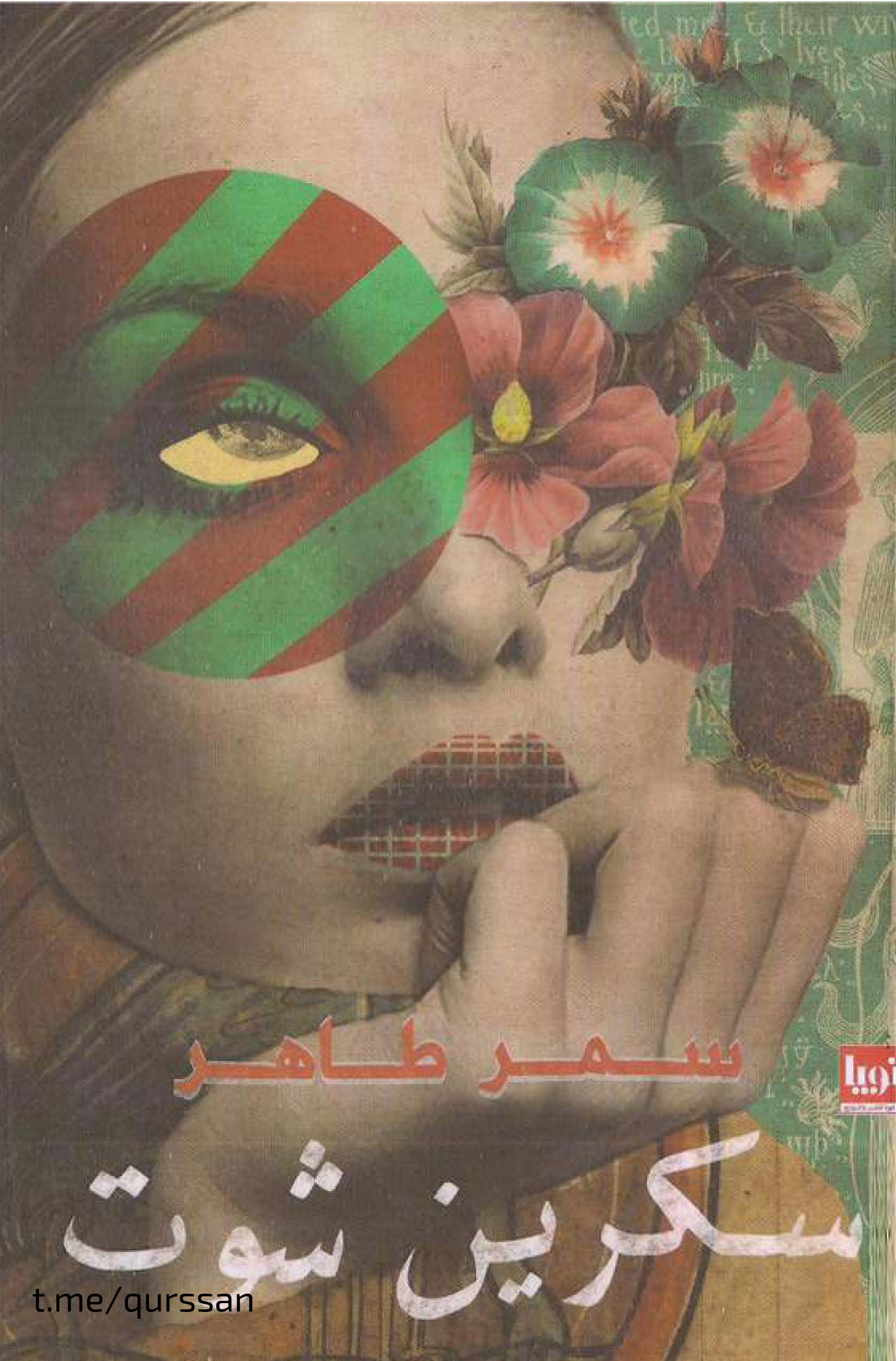

t.me/qurssan

عنوان الكتاب : سكرين شوت

المؤلف : سمر طاهر

تصحيح لغوى : عبد الهادى عباس

تصميم الغلاف : سوليمان

إخراج فنى : حسن عصام

رقم الإيداع : ٢٥٥٨٥ / ٢٠١٨

ردمك : ٩٧٨-٩٧٧-٦٥٤٩-٨٠-٧

الطبعة الأولى : ديسمبر ٢٠١٨

رئيس مجلس الإدارة: شريف الليثي

دار توبا للنشر والتوزيع

dartoya2015@gmail.com

Dar.toya دار توبا للنشر و التوزيع

@Dar_Toya

Dar.toya

+201202322096

٣٠ شارع النصر - المعادي - القاهرة - مصر

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

t.me/qurssan

سكرين شوت

سَمَر طَاهِر

t.me/qurssan

t.me/qurssan

"وإنها لنقمةٌ أن تكونَ لنا ذاكرةٌ، ولكنها أيضًا
النعمة الباقية"

نجيب محفوظ

t.me/qurssan

t.me/qurssan

هل عقلك المكتظ بالأفكار يدفعك دفعًا كي تحوِّل زحامه إلى تدوينات على الورق من أجل العودة إليها لاحقًا؟

هل تجد أنه من الصعب وسط أعبائك العملية والعائلية أن تخلق وقتًا لمشاهدة فيلم كوميدي تتمنى مشاهدته، فتكتفي بمقاطع «اليوتيوب» المضحكة للحيوانات الأليفة والأطفال الرُّضَّع الذين يتذوقون أطعمة غريبة للمرة الأولى؟!

ليس لديك الوقت كي تقرأ كتابًا فتعوضه بقراءة «بوست» على «فيسبوك»؟!

تُحاول أن تختزل العالم المُتسارع حولك في لقطاتٍ تظن أنها تعوضك عن العيش الحقيقي؟ أو على الأقل تجعلك تعيش بوهم «الأمان»؟

فكل شيء محفوظ لديك في «جاليري» الصور، كل شيء محفوظ وستعود إليه لاحقًا!

إذا كان الأمر كذلك، فإليك أهدي هذا الكتاب!

t.me/qurssan

(1)
سكرين شوت

منه فيه!

أجلسُ على المقعد الخلفي للسيارة، بينما سائقُ "الأوبر" لا يسمع سوى ذلك الصوت المُتكرر القادم من خلفه "كليك كليك كليك"!

صوتٌ مزعجٌ يُصدر من هاتفي المحمول بشكلٍ لا ينقطع..

إنه صوتُ التقاط الصور بكاميرا الموبايل.. صوتٌ يعرفه الجميع..

ينظرُ لي السائقُ مرتابًا من خلال المرآة الأمامية للسيارة، يظنني ألتقط صورة خلفية لـ "قفاه"، ربما سأنشرها على "فيسبوك" مع "هاشتاج" مثير للجدل لأدشّن حملة "شيَّر وافضحهم"، ضد سائقي "الأوبر"!

ألتفتُ له وأنا أعرف جيدًا مقصده من السؤال، أتفهم دوافعه للارتياب، فأطمئنه أنني لا أفعل، لا ألتقط أية صور له.

"متقلقش مش بصوَّرك"..

يسألني السائقُ متعجبًا: "أتصورين الطريق؟"

لا أرد، فينظر لي متشككًا؛ فالـ "موبايل" غير مُسلَّط على "الشبَّاك"..

t.me/qurssan

وإن كان الأمرُ كذلك.. فما الذي أقوم بتصويره إذن بكل ذلك الشغف؟!

أخبره أنني بالفعل أقوم بالتصوير..

لكنني لا أصوِّره، ولا أصوِّر سيارته، ولا أصوِّر الطريق، بل أصوِّر شيئًا آخر أو عدة أشياء، أصوِّر "من على الموبايل"، "بالموبايل"، يعني بالبلدي الصورة "منه فيه"!

"سكرين شوت".. مُصطلح أجنبي بالأساس، لا توجد ترجمة عربية متداولة له، سوى "لقطة للشاشة".

لو أخبرتُ السائق أنني أصوِّر "لقطة للشاشة" بالتأكيد لن يفهم، ليست هناك كلمة مألوفة باللغة العربية لما أفعله

"لا متقلقش، أنا باخد سكرين شوت لحاجة".. هكذا أخبرته.

"الموبايل مجنن كل الناس".. يرد عليَّ السائق ضاحكًا وقد ارتاح باله، أنا لا أصوِّره ولا أصوِّر سيارته إذن.

أشرد مُسلطةً بصري على الطريق عبر نافذة السيارة وأفكر..

بعينيَّ.. أستطيع أن أسجل كل ما أراه من قُبح ومن جمال، ربما أغلقهما أحيانًا من باب التغافل كي لا أرى ما لا يُعجبني، ولكنني أغلقهما أيضًا عندما يمر بي شيء جميل.. أي شيء أحبه، أي لحظة أريد أن أحبسها ولا أجعلها تفلت من مخيلتي..

t.me/qurssan

حبسُ اللحظة

يقولُ نجيب محفوظ: "وإنها لنقمةٌ أن تكون لنا ذاكرة، ولكنها أيضًا النعمة الباقية"..

وذاكرتنا لا تتسعُ لكل شيء، ولهذا اخترع الإنسانُ التدوين، ولهذا اخترع الإنسانُ التصوير!

حبسُ اللحظة كي لا تضيع في متاهات الذاكرة، حبسها لاستعادتها لاحقًا، استعادتها بأنفسنا، أو إتاحتها للغير، حبسُ اللحظة هو الهدف الأسمى لفن الكتابة، وكذلك فن الرسم.

الرسمُ على جدران المعابد القديمة، مرورًا بعصر الصورة الفوتوغرافية، ثم الصورة السينمائية.. حبسُ اللحظة هو الهدف.

أما اللحظاتُ الافتراضية، في الواقع الموازي، فلا يصلح لحبسها سوى ذلك الإدمان الجديد الذي أقلق سائق "الأوبر"، ذلك الـ "سكرين شوت" الساحر واللعين.

كليك كليك كليك!

هذا هو الصوت السريع والمُزعج الذي تصدره كاميرا الموبايل عند تصوير العالم الافتراضي، صوتًا يُشبه صوت كاميرات "الباباراتزي" أو "المصورين المتلصصين" عند مطارداتهم للمشاهير للبحث عن فضيحة.

والبحث عن فضيحة، هو التصوُّر الأول الذي كان ينطبع في أذهاننا منذ عدة سنواتٍ عند سماع مصطلح "سكرين

t.me/qurssan

شوت"، فظهور المصطلح قد ارتبط في البداية بفكرة تصوير الرسائل المتبادلة بين طرفين عبر "واتساب" أو "فيسبوك" أو غيرها من تطبيقات التواصل الاجتماعي، واستخدامها لفضح أحد طرفي المُحادثة للطرف الآخر.

لكن الـ "سكرين شوت" الآن أصبح هو وسيلتي، مثلي مثل غيري، لتسجيل الأشياء واللحظات الافتراضية..

فهذا "سكرين شوت" لمحادثةٍ دارت بيني وبين صديقةٍ عزيزةٍ، واحتوت على كلماتٍ لطيفةٍ جاءتني في وقتٍ كنت فيه في حاجة ماسة للـ "طبطبة"، وآثرت أن أحتفظ بصورةٍ من المحادثة ربما خففت عني كلماتها لحظة من اللحظات الصعبة التي لا تخلو منها الحياة.

وهذا "سكرين شوت" به صورة لمطبخ رأيته على صفحةٍ خاصة بالديكور على موقع "فيسبوك"، اعتقدت للحظة أنه مطبخ الأحلام، وأن الفرصة ستأتي بالضرورة ليصبح مطبخي المستقبلي في يومٍ ما.. ولن يكلفني الاحتفاظ بصورته سوى كبسة زر واحدة!

وهذا "سكرين شوت" لمواعيد عرض الأفلام بالسينما الجديدة التي تم افتتاحها بجانب منزلي، ولأنها سينما "خواجاتي" لا تعرض الأفلام في المواعيد التي اعتدنا على حفظها، أي كل ثلاث ساعات، فمن الأسهل التقاط صورة للمواعيد من على الموقع الإلكتروني للسينما، كي أجدها في الحفظ والصون ضمن "معرض الصور" أو "جاليري" الموبايل الخاص بي، وأصل لها بالتالي وقتما أريد، وبدون

t.me/qurssan

الحاجة إلى شبكة الإنترنت.

وهذه عدة صور التقطتها من شاشة الهاتف لمقال أعجبني ولم أجد وقتًا لقراءته في المنزل وسط أعباء اليوم، وفكرت أنني ربما سأتمكن من قراءته في سيارة الأجرة، ولأنني أخشى من مفاجآت "الباقة"، فآثرت أن أحتفظ به كعدة صور ثابتة وليس "لينك" أو رابط إلكتروني.

وهذه "نكتة" أو مقولة طريفة وجدتها في موقع ما، وقررت أن أحتفظ بها للضحك عليها مجددًا عندما يتطلب الأمر ذلك!

وهذا "سكرين شوت" لموعد الطبيب، الذي أكدته معي المُمرضة عبر الواتساب..

وهذه صورة لي أحبها، لكنني أود تغيير ألوانها وتحويلها إلى "أبيض وأسود" لأتخيل نفسي كنجمة أفلام في الخمسينيات من القرن الماضي، فأقوم بتصوير الصورة كي أتمكن من تعديلها دون أن أفقد النسخة الأصلية!

وهذه أرقام عيادة طبيب تغذية وجدتها في منتدى نسائي على الإنترنت، واحتفظت بها في "سكرين شوت"، كي ألجأ إلى ذلك الطبيب عندما تحين الفرصة لذلك!

وتلك "حكمة" مكتوبة في أحد المقالات التي تتحدث عن "تقلب الزمان وغدر الصحاب"، ربما لا تنطبق على حالتي الآن، لكنني أشعر أنني سأحتاج إليها في وقتٍ لاحقٍ من الحياة!

ليصبح معرضُ الصور في هاتفي الجوال نصفه للصور الحقيقية، التي تخصني أنا وعائلتي وأصدقائي، والنصف

t.me/qurssan

الآخر للصور الافتراضية من العالم الآخر الذي يبتلعني بالتدريج، ليختلط الواقعي مع الافتراضي، وأنا بينهما لا أعلم من أكون أو ماذا سيكون مصيري.

* حاول الاتصال في وقتٍ لاحقٍ!*

حياتي تتحوَّل أمام عينيَّ لعدد من الـ "سكرين شوتات" التي لا أعرف متى سأعود إليها وأنظر إليها بعين الاعتبار، ومع ذلك لا يسعني سوى أن أفعل كما يفعل الجميع..

أخذ المزيد من الصور أو "السكرينات"، لعلنا يومًا نعود إليها!

"لعله من الحكمة أن أفعل ما أريده (الآن) بلا مماطلةٍ أو تأجيلٍ، أو أن ألغيه إلى الأبد، وبلا أدنى شعور بالذنب أو تأنيب الضمير".. هكذا حدثتني نفسي الأمَّارة بالسوء..

فما دام الأمرُ يحتمل التأجيل لوقتٍ لاحقٍ، فبالتأكيد يحتمل التأجيل إلى الأبد، وبغير رجعة!

هل أنت مثلي؟

هل عقلك المُزدحم بالأفكار يترجم ذلك إلى تدوينات على الورق، أو "سكرين شوتات" على الموبايل من أجل العودة لها لاحقًا؟

هل تجد أنه من الصعب وسط أعبائك العملية والعائلية أن تخلق وقتًا لمشاهدة فيلمٍ كوميدي تتمنى مشاهدته، فتكتفي بمقاطع اليوتيوب المُضحكة للحيوانات الأليفة

t.me/qurssan

والأطفال الرُّضَّع الذين يتذوقون أطعمة غريبة للمرة الأولى؟!

ليس لديك الوقت كي تقرأ كتابًا فتعوضه بقراءة "بوست" على فيسبوك؟!

تُحاول أن تختزل العالم المُتسارع حولك في لقطاتٍ أو تدويناتٍ تظن أنها تعوضك عن العيش الحقيقي؟ أو على الأقل تجعلك تعيش بوهم "الأمان"؟

فكل شيء محفوظ لديك في "جاليري" الصور، كل شيء محفوظ وستعود إليه لاحقًا؟

شكرًا للكاميرا، وتبًّا لها

أشعرُ أنني توحدت مع "كاميرا الهاتف" وأن تلك الكاميرا هي بمثابة عينيَّ، أسيرُ بها في هذه الدنيا لألتقط لقطة من هنا ولقطة من هناك، لقطة غير مُكتملة، ولقطة مُشوهة أو مُقتطعة من السياق، لقطات أسجلها على ذاكرة الموبايل لأن ذاكرتي الشخصية لم تعد تُحتمل.

لا أعرف إن كان يتوجَّب عليَّ أن ألعنها أم أشكرها على ما فعلته بي!

تلك المجنونة التي أصابتني بالطمع وأفقدتني عقلي..

عندما أجد هاتفي مكتظًا، بسببها، بكل تلك الصور، أتساءل بيني وبين نفسي..

يا ترى هل سيكون لديَّ الوقتُ للاطلاع على كل تلك القطات مجددًا في وقتٍ من الأوقات والاستفادة منها؟

t.me/qurssan

إن كنت أنا مُنشغلة الآن لتلك الدرجة التي تجعلني أؤجل كل شيء لوقتٍ لاحقٍ، فهل سأكون خالية البال لألقي نظرة على كل تلك الـ "سكرينات" أو "صور الشاشة" في ذلك الوقت اللاحق، الذي ربما لن يأتي أبدًا؟!

أم أنني سأظل منشغلةً، ولن أعود مجددًا لتلك الصور؟

أم أنني سأعود إليها بعد فترةٍ طويلةٍ، ولن أتذكر وقتها سبب التقاطي لها؟!

أم أنني سأتذكر سبب التقاطي لها، لكنني ربما سأصبح غير مهتمةٍ حينها!

أم أن الهاتف سوف "يعطل" وبالتالي سأشتري هاتفًا جديدًا قبل أن تكون لديَّ هذه الفرصة لألقي نظرةً أخرى على كل ما خزنته على هاتفي القديم؟ وأندم وقتها أشد الندم؟

أو لعلي سأتذكر مقولات التنمية البشرية عن تقبّل فكرة "الخسارة" بصدرٍ رحبٍ، ولذلك سأدعُ الأمرَ يمر بدون أن يُشعرني بالندم؟!

أخبر نفسي أنه حتى لو ضاق الوقت بي، ولم تأت الفرصة لأعود لتلك الصور أبدًا، فإن التقاطها على الأقل سيجعل هناك ضوءًا يسطعُ في ذاكرتي ولو للحظة..

ضوءٌ قد يُذكرني بالـ "معنى" الذي حاولت الاحتفاظ به لأطول زمن ممكن..

"المعنى" الذي سجلته لسبب ربما كان مهمًّا، وربما أصبح بلا قيمةٍ في اللحظة الراهنة، لكن يكفي أنه كان مهمًّا بالنسبة لي، في وقتٍ من الأوقات!

t.me/qurssan

(٢)
فن اللكاعة!

التلكؤ..

أو بالبلدي اللكاعة..

كنزٌ لا يعرف قدره سوى القليلِ من "البرنسات" في هذا العالم الذي وقع في فخ السرعة ولم يخرج من ذلك الفخ.. ولن يخرج منه على الأرجح.

فالسرعة أصبحت أمرًا محمودًا في حدِّ ذاتها، بغض النظر عن الغرض من ورائها.. أو نتائجها حتى.. ولم يعد هناك مجالٌ للاستمتاع بالعمل نفسه، أي عمل، بدون الرغبة في القفز نحو فكرة إنجازه والانتهاء منه وعمل علامة "تم" عليه في قائمة الأعمال المطلوب القيام بها.

فالحكمة الأشهر الآن هي: "لا تتوقف عندما تتعب.. بل توقف فقط عند إنجاز العمل"!

الإنجاز.. التفوق.. النجاح..

كلها مفاهيم مهمة في حد ذاتها، لكنها أصبحت over rated أو تنال أكبر من أهميتها الحقيقية..

والمتلكئون فقط هم مَن يستمتعون بمذاق الحياة.. فهل يستوي الذي يسيرُ في الشارع المُزدحم مسرعًا كي يلحق بعمله، فلا يكاد يتبين ملامح الشارع حتى.. بذلك الذي يسيرُ وهو يتلفت حوله لينظر للبشر، والمحلات، ويستمتع برائحة القهوة الآتية من المقهى الصغير على "الناصية"؟

t.me/qurssan

كانت صديقتي الأكبر سنًّا "تفرسني" دائمًا بـ "لكاعتها" المعهودة.. فأي "مشوار" يشاء القدر أن يجمعنا معًا لأدائه..لا تتردد هي في أن تتأخر في الحضور، وحجتها الدائمة التي لا تتغير هي.."كنت بجيب شوكولاته وحاجات حلوة علشان الطريق"!

وبقدر ما كنت أغضب وقتها ولسان حالي يقول.. "محَبَكش يعني.. خلينا ننجز ونخلص اللي ورانا"..

إلا أنني قد أدركتُ مع الوقت فلسفتها في الحياة التي تتلخص في ذلك الموقف البسيط، فالمشوار بأي حال سيتم والمطلوب عمله سيتم إنجازه، فلماذا لا نُحيطه ببعض الحلوى والتسالي؟!

أدركتُ تلك الحكمة لكن بعد سنواتٍ طويلةٍ من العيش في دائرة السرعة والرغبة في الإنجاز بغير اكتراثٍ بأهمية أن تُحيط بذلك الإنجاز لحظاتٌ جميلةٌ..

ولا أقول إنني اتبعت هذه الحكمة "بحذافيرها" على طول الخط.. لأنني أنساها أحيانًا..

ولا أجدها مناسبةً للوقت الذي نعيشُ به في أحيانٍ أخرى..

وينتهي بي الحالْ كثيرًا وأنا أقف بملابس الخروج مع الأولاد أحضر معهم الحقائب لتمارين النادي.. ولا أنسى أن أضع الأوراق التي أريد تصويرها في مكتب التصوير.. وملابس سوداء لأنني أريد أن أمُر "بالمرّة" على صديقةٍ

t.me/qurssan

لم أرها منذ سنواتٍ لكن علمت أن "حماتها" قد توفيت وفاتني حضور العزاء..

فلماذا لا أذهب إليها "في طريقي" وأمكث معها قليلًا لمواساتها!

كما لا أنسى أن أضع في الحقيبة الكبيرة ذلك الحذاء الذي يحتاج إلى الإصلاح لأمرره على "الجزمجي"، وشاحن الموبايل بالطبع لأنني لا أريد أن أصبح "غير متصلة" بالآخرين في أية لحظة كي لا يحدث أي خطأ ما!

كل همي هو أن أعود لبيتي ليلًا وأقوم بعمل علامة "تم" على قائمة المُهمات!

وما أن أنهي قائمة المُهمات.. حتى أبدأ قائمةً جديدةً في اليوم التالي حتى تصبح تلك القائمة أهم من حياتي نفسها!

أتذكر "منظري" على باب المنزل ويداي ممتلئتان بالأكياس والحقائب.. وأشفق على نفسي.. ليس فقط لأنني أحمِّل جسدي أكثر مما يتحمل.. بل لأنني أحمِّل نفسي وروحي أيضًا أعباء كبيرة.. فكل تلك الأشياء الصغيرة والمهام السخيفة التي يجب الانتهاء منها لا تقتل وقتي فقط..

بل تحتل حيزًا كبيرًا من انتباهي يُرهقني بشكلٍ كئيبٍ.. لا يوازي الأهمية والفائدة المرجوة من أداء تلك المهام التي يُمكن الاستغناء عنها بسهولةٍ.. وتوفير بعض الطاقة للاستمتاع وعمل "لا شيء"!

t.me/qurssan

لكن كيف لي أن أفعل ذلك.. وقد أصبح من الحتمي أن يتمتع الإنسان بصفة الأخطبوطية، ولأن لدى الأخطبوط أذرعًا كثيرة ممتدة في كل اتجاهٍ..

ولأنه ليس للإنسان سوى ذراعين اثنتين.. فلكي يصبح الإنسانُ المسكين أخطبوطا.. فإن عليه أن يستخدم ذراعيه في أداء مهمةٍ ما..

ثم يُسارع للبدء في المهمة التالية، ثم التي تليها، ثم التي تليها..

وبشكلٍ هيستيري يُصبح من خلاله الكائن المسكين بمثابة "ترس" في آلةٍ..

هل ترون في هذا التشبيه أية مبالغة؟

لا، ليست به شُبهة مبالغة.. فأنا أصف شعورًا صادقًا جدًّا جرَّبته لفتراتٍ طويلةٍ جدًّا في حياتي..

وأعتقد أنه ما من إنسانٍ يعيشُ في الزمن الحالي إلا ومرَّ به.. وخصوصًا النساء المسكينات.

لماذا النساء؟!

بموضوعيةٍ شديدةٍ وبلا أدنى تحيُّز لبنات جنسي أقول إننا نعد أكثر ضحايا ظاهرة اللهاث تلك، فالالتزامات المطلوبة منا نحن معشر النساء أصبحت غير محدودة، وأصبحنا نتفاخر أننا "سوبر" أو "أخطبوطيات"..

ويُقال لنا إن الله قد خلقنا لنستوعب القيام بعدة أعمالٍ في نفس التوقيت..

t.me/qurssan

نرد على الهاتف ونُتابع الإناء فوق الموقد.. ونُراجع الدروس لأطفالنا!

ونحن بكل سذاجةٍ و"فتونةٍ" بلعنا "الطعم" وقمنا بترديد هذه المقولة مثل الببغاوات..

وأصبحت تلك المقولة تُثير شعورنا بالفخر والنجاح..

لأنها تشير إلى قدراتٍ عقليةٍ وجسديةٍ كبيرةٍ..

بينما هي من وجهة نظري قدراتٌ "مكتسبة" وليست موجودة "بالفطرة" كما يُقال دائمًا..

فالعلم يأتي بالتعلم، وكذلك تلك القدرات.. فنحن نكتسبها بالتدريب عليها.. لأننا مضطراتٌ لذلك وليس لسببٍ آخر!

ولا ينفي ذلك أن الله قد أنعم علينا بالقوة التي أودعها في جميع مخلوقاته..

ومن الجميل أن نُعظم تلك القوة.. ولكن على رأي الست نانسي عجرم: "بالهداوة الهداوة الهداوة".. فلكل شيء حدود!

فتلك "الكفاءة" و"الفعالية" في الإنجاز.. وعلى الرغم من نتائجها الباهرة في أداء المهام.. فإنها- وعن تجربة- تنهكنا وتهلكنا بشكلٍ أسرع، لأننا "بنحرق بنزين كتير" كي نقوم بكل المهام المطلوبة منا وتلك المهام التي نخلقها لأنفسنا حتى لو لم تكن ضرورية..

بحجة أن لدينا "وقتًا وصحة"..

t.me/qurssan

وممكن "نعمل أكتر".. "وليه لأ طالما قادرين!"..

لكننا نستيقظ من نومنا فجأةً والحزن يملأ قلوبنا بلا أي سببٍ واضح، متناسين أن نمط الحياة الذي "نهلك" به أنفسنا، هو السبب.

فإدمان الإنجازات، ولو حتى الصغيرة منها، مثل المواظبة على تمارين الأولاد، وأداء المجاملات الاجتماعية، يجعل طموحنا أكبر في تحقيق المزيد..

و"حرق المزيد من البنزين" لفعل ما هو أكثر وأكثر..

ويصبح حينها اليوم الذي نقضيه في المنزل بدون عمل "خطة محكمة" لنا ولأولادنا، سببًا في إفراز "هرمونات الذنب وجلد الذات".. لدرجة تدفعنا للحزن.

عن نفسي، أفعل ذلك رغم إدراكي لخطورته..

وأتمنى أن يصبح اليوم ٧٢ ساعة كي أنجز كل الالتزامات المطلوبة.. أما لقاء الصديقات مثلا.. فأكتفي بلا أدنى حرج أن ألقاهن مرةً كل شهر أو شهرين..

وكلنا كصديقاتٍ نفعل ذلك باختلاف شخصياتنا..

فمن هي مهتمة بالعمل.. وتلك التي تُكرس وقتها لأولادها.. وكذلك الكسولة.. والنشيطة.. المتحفظة والمتحررة.. وكلهن كلهن.. وأنا معهن..

لم نعد نفعل مثلما كانت تفعل جداتنا.. لم يعرف جيلنا تمشية "العصاري"..

ولا الجلوس في الشرفة وقت "المغربية".

t.me/qurssan

كلنا "نستخسر" و"نستكتر" على أنفسنا اللقاءات الممتعة ولا نعتبر الفرح من ضمن أولوياتنا..

مع أن "الانبساط" يُعد إنجازًا يجب السعي إليه والاحتفاء به..

بل والتخطيط من أجله.. وإلغاء بعض الالتزامات الأخرى لإعطائه الأولوية..

فببساطة "طالما الحاجة بتبسطنا ليه منعملهاش كتير؟!"

ويعرف أهمية هذا المبدأ مَن تعدوا مرحلة الشباب بكل طموحاتها التي ليس لها حدود..

مثل صديقتي "اللكعية" الجميلة والحكيمة جدًّا!

وبالمناسبة..

فالطموحُ الجامحُ أمرٌ جيدٌ.. وهو طبعٌ إنساني لولاه لما تطوَّرت البشرية.. لكن عيبه الوحيد أنه يُنسينا أن نقف ونتأمل و"نأخذ نفَسنا".. و"نشعر" بالفرح.. ولو قليلًا..

وعندما ننصح أنفسنا أن نهتم بـ"الأهم ثم المهم"..

فإننا ننتهي بكوننا منهكاتٍ للغاية.. والعيب لا يكمن في المبدأ ذاته بقدر ما يكمن فِي تعريفنا للـ "أهم"..

فالرياضة، ومشاهدة الأفلام، ولقاء الصديقات، والمشي في الشمس بلكاعة، ومتابعة المسلسلات التافهة.. أمورٌ مهمةٌ.. يجب أن نتعلم أن نتقنها.

هي مهمة لأنها تُشعرنا بالسعادة..

وما دامت فعلت ذلك فينا فهذا يعني أنها تُشبع حاجةً

t.me/qurssan

أصيلةٌ في أرواحنا تستدعي تغيير جدولنا لوضعها في الاعتبار..

فحياتنا تمر بين سعي وشقاء، ولا نتذكر منها سوى الساعات القليلة التي قضيناها في الضحك أو بصحبة مَن نحب.. وتلك الساعاتُ وحدها هي خير مُعين لنا على عبور الأوقات الصعبة في الحياة..

ولذلك فإن فن "اللكاعة" يعتبر من الفنون المهمة في مواجهتنا للحياة وصعابها.. ولا أستبعد أن أسمع قريبًا عن "كورسات" متخصصةٍ في تدريسه.. ليصبح مثله مثل "التنمية البشرية" و"كورسات الطبيخ"..

ولا أستبعد أن تُقبل على تلك الدروس الكثيرات جدًّا ممن لا يُتقن ذلك الفن.. وأنا أولهن!

t.me/qurssan

(٣)
لماذا نُحب الأفلام المصرية القديمة؟!

رغم وجود الكثير جدًّا من الأفلام الجميلة والمميزة التي يتم إنتاجُها كل عام على مستوى العالم، ورغم ثراء تاريخ السينما بالروائع الممتعة، العميقة أو البسيطة، ورغم كثرة الأعمال الترفيهية التي أصبحت عند أطراف أصابعنا سواء على شاشات التلفزيون أو تلك المتوافرة على شبكة الإنترنت، سواء شاهدناها واستمتعنا بها، أو لم تسنح لنا الفرصة لكننا ما زلنا نُخطط لذلك، ومع اختلاف أذواقنا ورؤيتنا عمومًا للفن وللحياة..

إلا أنه ما زال لدينا العديد من الأسباب التي تجعلنا نعشق "الفيلم المصري القديم"، فدائمًا "القديم يكسب"، ودائمًا المصري "بالذات" يكسب.. يا ترى ليه؟! لقد فكَّرت في هذا السؤال مرارًا وتكرارًا.. وتوصلت أخيرًا لأهم الأسباب بالنسبة لي على الأقل:

١- لأننا نُمتع أعيننا بشوارع القاهرة الجذابة والنظيفة والخالية إلا من بعض البشر المُهندمين والقليل من السيارات الأنيقة!

وحتى لو ادَّعينا أن صُناع الأفلام كانوا يتعمدون إظهار الواقع بشكلٍ أفضل، لكن الواقع وقتها بالتأكيد كان قريبًا ولو بدرجةٍ ما من الأفلام، فما نراه على الشاشات

t.me/qurssan

قد تم تصويره في شوارع حقيقية وليس على سطح المريخ أو في الصحراء الجرداء.

٢- لأننا نعلم أن مصر كانت فيها وسائل رفاهية معقولة جدًّا بحيث إننا لو استخدمنا آلة الزمن ورجعنا للخمسينيات كنا سنستمتع أيضًا بوجود صرف صحي وحمامات أنيقة بها "سخان" مثل الذي رأيناه في منزل شادية في فيلم "بشرة خير"، صحيح أنها كانت من بنات "الذوات" في هذا الفيلم، وصحيح أن السخان كان "بايظ"، وكان على كمال الشناوي إصلاحه أكثر من مرةٍ في الفيلم نفسه.. لكن على الأقل كان "الأوبشن" موجودا

٣- لأننا نرى أفلامًا بها كمال الشناوي "بشحمه ولحمه".. وطبعًا أنور وجدي.. وآخرين!
والجميع شَعرهم مُصفف بعنايةٍ باستخدام الفازلين اللامع جدًّا، كما أنهم يرتدون "البدل" في كل الأوقات حتى في النزهات الصباحية باستخدام الدراجات.

٤- لأننا نرى النساء يرتدين ملابس تقليدية اعتادت بنات حواء ارتداءها في العصور الغابرة بغير أن يتعرضن لمضايقاتٍ تُذكر: هذه الملابس المُسماة بالـ"فساتين" لم تكن فقط جميلة، بل أيضًا "منفوشة" ولها موديلات أنثوية مُنعشة، وأجمل ما فيها أننا لا نعرف ألوانها الحقيقية، فلا تعرف هل الفستان التي ترتديه صباح أحمر

t.me/qurssan

أم أزرق أم أخضر أم أسود!

مما يزيد من الغموض الذي يكتنف كل شيء في العموم... أما الحقائب النسائية فأنيقة وصغيرة جدًّا وغالبًا لا تحمل المرأة بداخلها سوى منديلها و"صباع الروج".

٥- شعورُ النساء كانت أيضًا غريبة لكنها جميلة، شعورٌ مليئةٌ بالموجات الملتصقة بعنايةٍ بحيث لا تتحرك.. فلا هي ناعمة ملساء ولا هي "كيرلي" منكوشة..

لكنها مموجة وثابتة، فلا تهتز بفعل الحركة أو الريح.

٦- أحمر الشفاة كان غامقًا جدًّا، ربما ينطبق عليه أكثر لفظ طلاء الشفاة، ولا نعلم إن كان ذلك مقصودًا ليناسب التصوير بالأبيض والأسود الذي يستلزم مكياجًا أقوى لتوضيح الملامح أم أنه كان علامة أنثوية لا غير..

"بعد مشاهدتي لفيلم "آخر كدبة" اقتنعت أن السبب الأول ربما يكون هو الصحيح، حيث إن "الروج" الذي يضعه فريد الأطرش كان أكثر وضوحًا من مكياج كل من سامية جمال وكاميليا! "

٧- ملابس النساء كانت تأتي من "شيكوريل" في علبٍ كبيرةٍ وفخمةٍ مثل علب "الجاتوه"، تلك العلب التي تليق بالفساتين الرائعة التي بداخلها، والتي كانت تخلق من التسوق متعةً مبهجةً يلزم معها وجود خادم أو "شوفير" لحمل كل هذه المشتروات، وطبعًا وجود الشوفير يتطلب

t.me/qurssan

أيضًا "أوتوموبيل"! وفيلم "نشالة هانم" خير برهان!

٨- الأتوموبيلات كانت فخمة وقيادتها سهلة جدًّا، فيمكن للمواطن القيادة أثناء الغناء أو تبادل القُبلات، أو حتى المناقشات الطويلة مع الشخص المجاور له، وحتى لو تطلب ذلك التواصل معه بالـ eye contact طوال الطريق! كما أن الأبواب كانت بتفتح "عكس عكاس".

٩- لأنه بالإضافة لوجود وسائل انتقالٍ حديثةٍ مثل الأوتوموبيل أو التروماي، كانت أيضًا هناك شبكات تواصل اجتماعي.. فالجواب والتلغراف والاتصال التليفوني كانت وسائل متوافرة ومستخدمة، صحيح كان يستلزم استخدامها أحيانًا النزول للبقال، لكن ذلك كان يتم بلا أدنى غضاضة، كما أنه من المُعتاد أن يجلس الأفندي في الكازينو وتأتيه مكالمة تليفونية على الرقم الأرضي "عادي"، أما إذا كان من سعداء الحظ الذين لديهم خط منزلي، فيصبح الاتصال وقتها طقسًا يجب الاحتفاء به، كأن يذهب رشدي أباظة مخصوص للصالون كي "يضرب" لحبيبته "تلافون".. كما كان ينطقها دائمًا!

١٠- لأننا نميز البشر دون عناء يُذكر، فإسماعيل ياسين وفردوس محمد وحسين رياض وزهرة العلا "طيبين جدًّا" ويمكننا دائمًا الوثوق بهم؛ بينما استيفان روستي

t.me/qurssan

ومحمود المليجي ولولا صدقي غالبًا ما تفضحهم أعينهم الشريرة، فيصبح من السهل على الإنسان العادي تجنبهم!

١١- لأننا كنا نشاهد قصةً بسيطةً وجميلةً، ونستمتع معها بأغاني محمد فوزي وكارم محمود، صحيح كانت الأغاني خارج السياق تمامًا في بعض الأحيان، لكن الاستماع لهؤلاء كان يستحق معاناة الخروج عن السياق.

١٢- لأنها تمكننا من مشاهدة الكثير جدًّا من الرقص الشرقي الجميل، أكثر فن له نكهة مصرية خالصة.

والأفلام المصرية القديمة ممتلئة بوجباتٍ دسمةٍ من الرقص الذي يرضي كل الأذواق، فأصالة كاريوكا ونعيمة عاكف تختلف عن رشاقة سامية جمال، أما رزانة نعمت مختار وزينات علوي فتختلف بالطبع عن شقاوة كيتي.

١٣- لأن الممثل الواحد كان يُشارك في عددٍ كبيرٍ جدًّا من الأفلام في العام الواحد، ففي أوائل الخمسينيات وصل عدد الأفلام التي قام إسماعيل ياسين ببطولتها إلى ١٦ فيلمًا بالتمام والكمال في عامٍ واحدٍ فقط!

فهل الوقت كان به الكثير من البركة في هذه الأيام، أم أن المواصلات كانت سهلة وفاضية جدًّا وبالتالي الإنجاز أسهل.. أو ربما كان الجمهور "رزقه واسع" فقط.

t.me/qurssan

١٤- لأنه يمكنك أن ترى نجومًا كبارًا في بداية مشوارهم الفني، وترى بالتالي إما إمكانياتٍ ضعيفةً لا تنبئ بشيء فتعرف وقتها أن الإنسان قادرٌ على تطوير مهاراته، أو أنه ربما الشهرة "رزق".

وترى في أحيانٍ أخرى إمكانياتٍ واسعةً كانت تنتظر البعض لو لم يتم حصرهم في نمط لا يتغير.. ففي فيلم "الستات ميعرفوش يكدبوا" يمكنك رؤية فتاةٍ نحيفةٍ تؤدي دورًا كوميديًّا لفتاةٍ شعبيةٍ محدودة الذكاء يسخر منها إسماعيل ياسين، وتكتشف أنها نجمة الإغراء هند رستم قبل أن تحصل على لقبها الأشهر.

١٥- لأنها كانت تُسمى بالـ "أفلام العربي"، بدون الكثير من المراجعة أو التمحيص..

فاللهجة المصرية بخصوصية مفرداتها وبهجتها ولطفها النقي.. صارت الأسهل والأكثر شهرة من خلال تلك القوة الناعمة التي يفرضها الفن، لتصبح تلك اللهجة عنوانًا لكل ما هو مُبدع وجميل من المُحيط إلى الخليج.

t.me/qurssan

(٤)
قلبي دليلي!

أجمل ما في الحب.. أغنياته!

ولا تزال أجمل أغنية للحب من وجهة نظري هي تلك الأغنية، التي أتذكرها كل عام في يوم "عيد الحب" على وجه التحديد، والفضل يرجع لإذاعتي المُفضلة، التي لا تتردد في أن "تعيد وتزيد" في بث هذه الأغنية الجميلة بلا كللٍ منها أو مللٍ يُصيبني.

تختتم المذيعة الأغنية بلكنتها القديمة المميزة كما تفعل دائمًا.. "استمعتم إلى قلبي دليلي لليلى مراد من كلمات أبو السعود الإبياري"..

أبتسم ابتسامةً واسعةً متفائلةً بنهارٍ جميلٍ ككلمات الأغنية.. ما زال صوتُ المذيعة يرن في أذني.. كنتم مع كلمات أبو السعود الإبياري.. أتذكر أنني قرأتُ هذا الاسم في الليلة الماضية، ربما أثناء مشاهدتي لفيلمي المفضل الذي يُخرجني دائمًا من حالة الغم كل مرة بنفس النجاح "البحث عن فضيحة".

بهجتان مختلفتان، لكن الاسم واحدٌ: "أبو السعود الإبياري"..

ذكرى ميلاده.. هو أيضًا في شهر نوفمبر، شهر الحب عند المصريين، على وجه الدقة تأتي ذكراه بعد أيامٍ قليلةٍ من

t.me/qurssan

عيد الحب "المصري"..
هو أيضًا صنع تراثًا فنيًّا بنكهةٍ "مصرية" خالصةٍ..
"أبو السعود الإبياري"... رأيتُ اسمه كذلك على تترات عشرات الأفلام القديمة، ولا سيما أفلام بطلي المُفضل "إسماعيل ياسين"، تكرر الاسم كثيرًا ولم أرَ صورته أبدًا.. هكذا مؤلف الفن دائمًا نرى عمله ولا نرى صورته أو نسمع صوته..

في الأغلب الأعم لا نتذكر حتى اسمه، ولكن الكل يتذكر كلماتٍ خرجت من روحه لتنتقل إلى الورق، ثم إلى الشاشة أو أسطوانات الأغاني.. ربما هذا هو العزاء الحقيقي للمؤلف.

"يا صفايح الزبدة السايحة.. يا براميل القشطة النايحة"!

ربما لا نتذكر اسم الفيلم ولا مؤلفه، لكن كلماتٍ كتلك محفورةً بالتأكيد في وجداننا.

أخبرني "أحمد الإبياري" المؤلف المسرحي ونجل أبو السعود الإبياري في لقاءٍ طويلٍ جمعني به، قائلًا:

"في هذه الأعمال الفنية القديمة لم يكن هناك مجالٌ واسعٌ للارتجال، فالكلماتُ التي دخلت التاريخ وأحبها الناس وحفظوها عن ظهر قلب كتبها والدي بيده ولم يتم ارتجالها وقت تصوير الأفلام، فلم يكن هناك من يضاهيه في كتابة الحوار السينمائي والمسرحي الذي يدخل القلب فورًا ولا يمكن نسيانه، وكذلك الجمل الافتتاحية المميزة للأغاني التي كتبها وعشقها الجمهور

t.me/qurssan

العربي، كان أبي غزير الإنتاج، في الواقع كان نهرًا متدفقًا من الفن بكل أشكاله".

كتب أبو السعود الإبياري للمسرح والسينما عددًا كبيرًا جدًّا من الأعمال التي عشقها الجمهور، ربما بدون أن يتساءلوا عن اسم المؤلف صاحب الموهبة الفريدة..

بداية من فيلم "لو كنت غني" لبشارة واكيم وعبد الفتاح القصري، وصولًا لفيلم "البحث عن فضيحة" لعادل إمام، مرورًا بأعمالٍ بينهما لا تُنسى شكلت وجداننا كمصريين..

فاطمة وماريكا وراشيل، عفريتة هانم، أربع بنات وظابط، تاكسي الغرام، الحموات الفاتنات، عفريتة إسماعيل ياسين، سُكر هانم، الفانوس السحري، حلاق السيدات، الزوجة ١٣، جناب السفير، وصغيرة على الحب..

ومن رصيده أيضًا عددٌ كبيرٌ من الأغنيات المتنوعة والمحفورة بعمقٍ في الوجدان المصري..

اضحك كركر إوعى تفكر، معانا ريـــال، البوسطجية اشتكوا، يا نجف بنور، يا رايحين للنبي الغالي، يا حسن يا خولي الجنينة..

من شدة تنوع كلمات أغنياته، لا يُمكن لمن لا يعرف "الإبياري" أن يتخيل أن كاتبها هو شخصٌ واحدٌ استطاع أن يُقدم هذا المدى الواسع من الكلمات الخفيفة والعميقة، والرائعة في كل الأحوال..

ظهرت موهبة "الإبياري" في طفولته المبكرة حيث كتب الزجل، ونشر ما كتبه لأول مرةٍ في مجلة تُسمى "الأولاد"

t.me/qurssan

وهو ما زال في التاسعة من عمره، وتلقى في مقابل ما كتبه بعض قطع الشيكولاتة!

بعدها بسنواتٍ قادته الصدفة لمسرح الريحاني حيث كان جاره الإيطالي قائد الأوركسترا هناك، وسريعًا ما جذب هذا العالم السحري الشاب اليافع صاحب الموهبة الربانية، حيث أصبح يتردد على المسرح باستمرارٍ.

عرف "الإبياري" أن بديع خيري يجلسُ مع نجيب الريحاني في مقهى عماد الدين يوميًّا فبدأ في التردد على المقهى ليستمع إلى حواراتهما.. تشجع وقدَّم نفسه لبديع خيري الذي تنبأ له بمستقبلٍ مُبهر في الكتابة الفنية، وبالفعل تحققت النبوءة، وأصبح الإبياري المؤلف الأكثر إنتاجًا في السينما المصرية.

كان "الإبياري" ابن بلد يعرف الأصول، يختلط بالناس في كل مكانٍ يسمع ويتعلم من "مدرسة الشارع"، كما كان يُثقف نفسه بالقراءة والاطلاع على الكتب والمراجع والأفلام من بلاد العالم المختلفة حتى آخر أيامه.

كان جادًّا وقورًا، ولكنه كان يعرف كيف يكتب الجمل الحوارية القريبة من قلب الجمهور، كتب الكثير من الأفلام لإسماعيل ياسين لدرجة أن البعض قد يظن أنه لم يؤلف لفنانٍ آخر غير "سُمعة".. لكن الإبياري- في الحقيقة- قد قدَّم عشرات الأفلام لكل نجوم عصره، وكانت بعضها بعيدة عن الكوميديا، مثل فيلم اليتيمتين لفاتن حمامة، وفيلم معلش يا زهر لشادية وزكي رستم.

t.me/qurssan

كان الإبياري قادرًا دائمًا على تقديم الجديد، ففريد الأطرش برزانته المعهودة غنى من كلماته "ياما جوه الدولاب مظاليم"، أما يوسف شاهين ففيلمه الكوميدي "أنت حبيبي" كان أيضًا من تأليف الإبياري.

كان إسماعيل ياسين صديقًا للإبياري بالفعل وكان توءمه الفني، لكن ما لا يعرفه البعضُ أن الصديق الأكثر قربًا من قلب الإبياري كان "محمود المليجي".. أشرُّ خلق الله على الشاشة وصاحب القلب الطيب في الحقيقة.

"كان لوالدي روتينٌ ثابتٌ في العمل، حيث يبدأ الكتابة في منزلنا في التاسعة صباحًا، ثم ينتقل إلى كازينو أوبرا بميدان الأوبرا الشهير ليُكمل ما بدأه، أما في الصيف فكان كازينو الشاطبي في الإسكندرية مكانه المُفضل للكتابة.. أما القراءة فهي الهواية التي لم تُفارقه طوال حياته حيث كان يقرأ في كل المجالات".. هكذا تكلم أحمد الإبياري عن والده.

يُكمل قائلًا: "أبي كان يعشق التغيير في كل شيء، وحتى في أثاث وديكور منزلنا الذي لم يكن يستقر على حال، نفس الشيء في عمله، فكان يكتب الأغنية والأوبريت والمقال الصحفي والمسرحية والفيلم، التراجيدي والكوميدي، رغم شهرته ككاتب كوميديا في المقام الأول..

كان أبًا حنونًا لكنه حازمٌ جدًّا، وكانت سخريته لاذعة كأعماله الفنية، تأثر بحكايات ألف ليلة والأساطير القديمة، وكان أكثر مَن كتب أفلامًا لها طابع خيالي في السينما

t.me/qurssan

المصرية، بعض أفلامه كانت مُقتبسة من قصص عالمية لكنه كان حريصًا أن يُعلن ذلك على تترات الفيلم، ما كان يفعله أبي ويظنه البعض أمرًا هينًا هو تمصير القصص العالمية ببراعةٍ في بعض أفلامه، فالأفكار كثيرة ومتاحة، لكن تطويعها لتناسب جمهورًا شرقيًّا له ثقافة معينة هو أمرٌ يحتاج مهارة خاصة لا تتوافر عند كثيرين، كانت له فلسفة خاصة، فكان يحب أن يُراقب البشر وأحوالهم وما تفعله بهم الحياة، كانت فلسفته ظاهرة في أفلامه، فمن ينظر لأفلام مثل: لو كنت غني، أو المجانين في نعيم وغيرها من الأفلام الكوميدية البسيطة، سيجدها تحمل معاني عميقة في الوقت نفسه"..

مات الإبياري وترك تراثًا كبيرًا لمُحبيه، وكذلك لأبنائه الذين أكملوا مسيرته الفنية رغم تحذيره لهم من صعوبة طريق الفن. لكن يبدو أن المُناخ الذي يُحيط بالمبدعين يترك أثره على المُحيطين بهم من فرط سحره، فأولاد الإبياري: أحمد ومجدي ويسري، قد قدَّموا أيضًا أعمالًا مسرحية فارقة في تاريخ المسرح الكوميدي في مصر، وإن لم يكن إنتاجهم بغزارة وتنوع ما قدَّمه "الإبياري" الكبير!

"موليير الشرق" أبو السعود الإبياري، أو "منجم الذهب" كما يُحب البعض أن يُلقبه، لم يُنصفه بعضُ النقاد الذين لا يعرفون أن "الضحك للضحك" هو هدفٌ في حد ذاته بالنسبة لبعض صُناع الكوميديا، هو هدفٌ ينتظره الجمهور المُتعطش للضحكة، وهو هدفٌ سامٍ صعب الوصول إليه بالمناسبة، ولا يُجيده سوى عددٍ قليلٍ جدًّا

t.me/qurssan

من المبدعين.

لم تُكرم الدولة "الإبياري" في حياته أو بعد رحيله في عام ١٩٧٣، فلم يحصل سوى على وسام الفنون من مجلس قيادة الثورة لتقديمه مسرحية "مراتي من بورسعيد" عام ١٩٥٦، كما حصل على جائزة أفضل سيناريو عن فيلم "الزوجة ١٣" من المهرجان القومي للسينما في عام ١٩٦٣، لكنه لم يحصل على التكريم الذي يستحقه عن مُجمل أعماله، كأكثر المؤلفين إنتاجًا في تاريخ الفن المصري، وكحجر زاوية في تشكيل وجدان الشعب المصري لسنواتٍ طويلةٍ.

ما زالت مقتنيات "أبو السعود الإبياري" لدى عائلته: نصوص مكتوبة بخط يده، وصور تجمعه بنجوم الزمن الذهبي للسينما والمسرح في مصر، وعقود أعماله الفنية.. كثيرٌ من الجهد الدؤوب على مدى سنواتٍ طويلةٍ لتقديم فن ممتع للجمهور المصري والعربي.. فهل يُفكر أحدٌ من القائمين على التراث الثقافي بضم هذه المقتنيات في متحف خاص بها؟

ولتكن قدوتنا في ذلك بعض الدول الغربية التي إذا قام أحدُ فنانيها "بالعطس في منديله" فإنهم على الفور يفتتحون متحفًا كبيرًا لعرض ذلك المنديل!

أتمنى أن نسير على ذلك الدرب، ففنانونا يستحقون تخليد ذكراهم في متاحف تكون بمثابة قِبلة لمحبي الفن المصري من كل الأجيال والجنسيات.

t.me/qurssan

(٥)
كراكيب الحياة!

على ذكر المُقتنيات الثمينة للأدباء والفنانين، والتي يجب أن تُوضع في متحف للاحتفاء بذكراهم.. هناك أيضًا مقتنياتٌ لا غنى عنها لدى أصحابها رغم كونها غير ثمينةٍ، وهي تثقل حياتهم بشكلٍ غير مباشرٍ.. خاصة عندما لا يكون هناك سببٌ مهم أو منطقي يدفعهم للاحتفاظ بها..

وما أكثر تلك المقتنيات في بيوتنا المصرية.. وفي بيتي أنا أيضًا بالطبع!

إنها الكراكيب!

وليس للكراكيب تعريفٌ واحدٌ، فهي إما أشياء قديمة يجب استبدالها، أو قديمة ولم نعد نحبها، أو زائدة عن حاجتنا لكنها وصلت لمنازلنا لسبب أو لآخر!

أو أنها من الأشياء التي نستخدمها لكن لسببٍ ما فإنها تُشكل عبئًا نفسيًّا أو ماديًّا بوجودها في منازلنا!

وأيًّا كان التعريف، فبذل بعض الجهد للتعرف على هذه الأشياء واتخاذ القرار بالاستغناء عنها يُعد أمرًا مُهمًّا للغاية..

ورغم أنني أعترفُ بأني لم أتخلص من "كراكيبي" الخاصة كلها، لكن من واقع خبراتي السيئة مع تلك الكراكيب، وفي المرات القليلة التي قررتُ فيها التخلص من بعض

t.me/qurssan

تلك الكراكيب والإبقاء على منزلي خاليًا منها ولو لفترةٍ قصيرةٍ، يمكنني أن أقر وأعترف بمزايا التخلص منها!

واسمحوا لي أن أوجه حديثي هنا إلى النساء على وجه الخصوص، ولا يعني ذلك أن تلك القواعد لا تسري على الذكور!

أول هام هو أن التخلص من الكراكيب يجعلك تتخلصين من التوتر، ليس فقط بسبب شغلها لمساحةٍ من حجرات المنزل وأركانه، بل لأنها تحتاج لصيانة أحيانًا كما هو الحال مع الأجهزة القديمة، أو قد تحتاج لتنظيف مثل الكراتين الممتلئة بأشياء غير مهمة، وفي كل الأحوال تستهلك مساحة ووقتًا للاعتناء بها يفوق الفائدة التي تعود عليك من الإبقاء عليها.

كما أن التخلص من بعض الأشياء عديمة الفائدة يجعلك قادرةً على تقييم الأشياء المهمة في حياتك ومنزلك وتجعلينها بالتالي أولوية في حياتك، أي تضعينها في مقدمة الصورة، تركزين على الأهم وتتركين الأقل أهمية. كما يحد من رغباتك في الشراء، فلو كان التخلص من الكراكيب بشكلٍ دوري مبدأ لديك، ستفكرين مرتين قبل شراء شيء لا لزوم له لأنك تعرفين مصيره جيدًا!

كذاك فالتخلص من الكراكيب يجعلك تتعلمين، ليس فقط الاهتمام بالأهم في مقتنياتك المادية، بل الأهم عمومًا في كل تفاصيل حياتك وعملك، والتخلص من "التفاصيل" المُزعجة وغير المُفيدة.

t.me/qurssan

وإذا كنا نتكلم عن العمل، فالتخلص من كراكيب المكتب، أو المطبخ حتى، يُساعدك على الإنجاز بفعاليةٍ أكبر، ويُقلل من التشتت بتقليل الطاقة السلبية التي تخلقها الكراكيب.

وفي نفس الإطار فإن التخلص من كراكيب العمل فعليًّا يؤدي إلى تحرير مساحة في عقلك كانت دومًا مشغولة بإدارة الكراكيب!

والحقيقة أن استخدام هذه المساحة فيما يُفيد عملك وتطوير قدراتك أو حتى منحك بعض الهدوء النفسي شيء مفيد جدا، كما يمنحك ذلك مساحة لجلب شيءٍ جديدٍ لحياتك بدلًا منها، ربما رياضة جديدة أو هواية تُسعدك.

كما أن التخلص من الأشياء الزائدة وغير المفيدة يجعلك تتمكنين من العثور على بعض الأشياء المهمة جدًّا والتي يتسبب التكدس في نسيانها أو حتى ضياعها، فما أسهل ضياع قطعة إكسسوارك المُفضلة إذا كنت تملكين صندوقًا غير مُرتب من الإكسسوارات التي لا تستخدمين معظمها، وما أسهل العثور على سلسلة المفاتيح إذا كانت مكانها منضدة نظيفة غير ممتلئة بفواتير السوبر ماركت والكهرباء والأزرار المقطوعة!

وأحيانًا قد تعتقدين أنك تُحبين قطعةً معينةً من ملابسك.. لكن عندما تمر ثلاث سنوات ولا يتصادف أن ترتديها مرةً واحدةً خلالها، فالأمرُ بالتأكيد ليس طبيعيًّا!!

ربما هذه القطعة غير مُفيدة ولا جميلة كما تظنين، إنما

t.me/qurssan

هو حب التعلق ببعض الأشياء الذي يمنعنا أحيانًا من التخلص من بعض الأشياء بلا سببٍ منطقي.

وتخلصك من ملابسك القديمة سيفيد بالضرورة غيرك من البشر، فهناك الآلاف من المحتاجين في كل مكان، وما هو مُلقى عندك في الدولاب بلا أدنى اهتمام سيصبح مصدر فرح حقيقيًّا لغيرك، وربما لو كان لقطع الثياب أن تتكلم لعبَّرت عن سعادتها بوجودها مع شخصٍ يحتاج فعلًا إليها، ولا يتشبث بها فقط لأسبابٍ مثل حبِّ التملك، أو لأنه ربما سيحتاجها في يوم لا يأتي أبدًا!

وليس بالضرورة أن يصبح مصيرُ ملابسك أو أشيائك التي لا تحتاجين إليها جمعيات مساعدة الفقراء، فصديقة من صديقاتك المقربات أيضًا قد تقبل منك معطفًا أو حقيبة كنت تعلمين أنها تنال إعجابها، وربما أصبحت أنت في غير حاجة لها، وإذا كنت تعرفين أن ذلك سيُسعدها وتتقبله بلا حساسيات.. فما المانع؟

والهدفُ من إعطاء المحتاجين أو إهداء بعض الأشياء العزيزة للصديقات ليس إسعادهم أو إسعادهن فقط! فللعطاء متعة ستشعرين بحلاوتها ما أن اعتدتِ عليها، وما تعطينه سيجلب لك السعادة حتمًا، سواء بسبب عطايا السماء أو بسبب "الكرما" التي تجعل العالم معطاءً لك ما دمتِ بادرتي بالعطاء للآخرين! أو هكذا يقولون!

أما بالنسبة لكراكيب الأثاث، فإن تخلصك من بعض قطع "العفش" والديكور قد يجعلك تشعرين بالتغيير، والتغيير

t.me/qurssan

دائمًا مطلوبٌ كما يُقال حتى لو إلى الأسوأ أحيانًا!

فهذا الكرسي الذي تحبينه وتجلسين عليه يوميًّا، أو ربما هذا المفرش اللطيف، أو السجادة الأنيقة، من المفيد أحيانًا استبدالهم مهما كانت درجة جمالهم! فشراء أشياء جديدة يشعرك بتجدد الحياة من حولك.

والتخلص من بعض الأشياء القديمة يتيح لك فرصة شراء أشياء جديدة كنتِ تحلمين بها، فطقم الأكواب الذي أعجبك وحصلت عليه منذ خمس سنوات ربما لم يعد له رونقه اليوم، فما الذنب الكبير الذي سترتكبينه إذا ما اشتريتِ بعض الأكواب الجديدة والمُبهجة التي أعجبتك في المتجر أمس لكنك "استخسرتي" شراءها رغم أنها كانت ستضيف بهجةً جديدةً لوقت تناول الشاي الصباحي المُعتاد؟

من الممكن أن يكون كوبٌ جديدٌ جميلٌ، سببًا في تحمسك للاستيقاظ من النوم في بعض الصباحات الشتوية الكئيبة!

والجميلُ أن قدرتك على التخلص من بعض الأشياء القديمة والمملة تفتح لك الباب للتخلص أيضًا من بعض العادات والأفكار البالية التي تجدين نفسك مستمرة في تطبيقها رغم أنها تتسبب في تعقيد حياتك وخنقها، يسري الأمر نفسه على بعض الأشخاص، وكذلك الطرق القديمة لأداء الأعمال، فهذا الطبق الذي طالما قدمتِ فيه لأسرتك الدجاج "المحمَّر" ربما يحدُّ من خيالك، حيث لا تتصورين كيف سيبدو الدجاج المشوي بداخله!

t.me/qurssan

أما لو كانت لديك الفرصة لشراء طبقٍ جديدٍ، ربما أصبحتِ أكثر جرأةً في اختيار أصناف جديدة أيضًا!

ويعتقد بعضنا أن التخلص من الأشياء القديمة من ديكور وأثاث أو ملابس ومجلات قد ينزع جزءًا من ماضينا ويلقي به في سلة المهملات، لكن علينا أن نتذكر أن ليس كل ما في الماضي جميل، ومن غير المفيد التعلق بذكرياتٍ قديمةٍ ربما كان بعضها سيئًا ومن الأفضل التخلص من آثارها، وربما بعض منها جيدً لكن من غير المفيد الانغماس فيها كلية لدرجة تجعلها تطغى على خططنا المستقبلية أو حتى على الحاضر الذي نحياه.

وأهم شيء من وِجهة نظري في تلك المسألة، هو أن رؤيتك لنفسك وأنت قادرة على التغيير، يفتح لك الباب للشعور بقوتك وأن حياتك ملكك وحدك، فتمسكنا المَرَضي بالأشياء لا يتناسب مع طبيعة الحياة ولا مع الطبيعة الإنسانية ذاتها..

فالأحبابْ يرحلون.. وأنتِ تتغيرين.. وعليكِ دائمًا بقبول التغيير بل والسعي إليه، فالديناميكية وليس الثبات هي سِنة الحياة على هذه الأرض.

ورغم إيماني بكل ما سبق ذكره.. فإنني أعترف أنني لم أتخلص حتى الآن من "كراكيبي"..

ربما لأنني غير مستعدةٍ لترك ذكرى واحدة من ذكريات الماضي "تفلت" مني.. وعلى أساس أن كل هذه الكراكيب "يمكن تنفع"!

t.me/qurssan

وأتمنى من كل قلبي أن ينجح كل.. أو بعض.. مَن يقرأ هذا الفصل من الكتاب في فعل ما أخفقت فيه.. ربما تعلمت أنا أيضًا أن أتخلص من كل، أو حتى "بعض"، تلك الكراكيب في أقرب فرصةٍ ممكنةٍ..

حتى لا يكون باب النجار مخلعًا!

t.me/qurssan

(٦)
طبيب نفسي صغير في جيبك!

لأن البعضَ ما زال بشكلٍ أو بآخر يُصنِّف "المرض النفسي" كأحد المُحرمات التي يجبُ ألا نتحدث عنها أو نبوح بسرها، ويا ويلنا لو حاولنا أن نخوض فيها بصراحةٍ..

تصبح الكتب أحيانًا مفيدة، وخاصة تلك التي تفتح لنا أبوابًا لمساعدة أرواحنا على النجاة من المشكلات والأوجاع النفسية التي عادة ما تبدأ صغيرة ثم تتعاظم ككرة الثلج لتصبح "مرضًا" يحتاج لتدخل طبي، ولا يكفي معه مجرد قراءة الكتب أو نصائح الأصدقاء.

وللمدونة والكاتبة الأمريكية المتخصصة في المشكلات النفسية Therese Borchard

كتاب شيق اسمه The Pocket Therapist أو "معالج نفسي للجيب"!

يستعرض الكتابُ أهم التكنيكات التي اكتسبتها الكاتبة خلال سنواتٍ قضتها في العلاج النفسي للتخلص من مشكلة الاكتئاب..

حيث تسرد فيه العديد من الأساليب التي تساعد على مقاومة الأوجاع النفسية، والوقاية منها قبل حدوثها!

ولأنني وقد وجدتُ نصائحها مفيدةً بدرجةٍ معقولةٍ، فإنني أود أن أشارككم بعضها "بتصرف"!

t.me/qurssan

لا تلوث روحك بمشاكل غيرك!

حيث ترى الكاتبة أنه مهما كان الآخر عزيزًا لديك، فلا داعي أن تحزن لحزنه لدرجة الموت، فوجود مشكلة لدى صديقك المُقرب بالطبع يستدعي تعاطفك ودعمك له، لكن ذلك لا يعني الانخراط بروحك وعقلك لدرجة الغرق في المشكلة كأنها مشكلتك شخصيًّا..

فالسلام النفسي يستدعي عدم خلط الأوراق بين حياتك وبين مشكلات الآخرين مهما كانت درجة صلتك بهم.

احتفل بإخفاقاتك!

نعم، فهذه هي الحقيقة، فنحن لا نتعلم من النجاح بقدر ما نتعلم من الفشل، ومعلمك الأعظم هو خطؤك الأخير!

فالاختياراتُ السيئة في الحياة هي التي تُعطينا دروسًا حقيقية تجعل بصيرتنا أكثر استنارةً وقدرةً على التفرقة بين السيئ والجيد في المستقبل، بالتالي فإن خطأك الحالي هو السبب في جعلك أكثر خبرةً، وبالتالي أكثر قدرة على تجنب الخطأ مستقبلًا.

افعلها بأي ثمن!

فعندما تكون لديك مهمة صعبة مطلوبٌ منك القيام بها، لا تتردد بحجة الخوف من الفشل، ففعل شيء متوسط القيمة أفضل أحيانًا من عدم فعل شيء على الإطلاق.

لا تنتظر اللحظة التي تُحقق فيها نجاحًا كبيرًا، بل ابدأ

t.me/qurssan

بخطوة ولو صغيرةً حتى لو لم تكن مضمونة النجاح، فالحياة إما أن تكون مغامرة حقيقية، وإما أن تكون "لا شيء" على الإطلاق.

علم نفسك!

فكلما واجهت موقفًا يستدعي القلق تذكر أن القلق سيقل حتمًا لو أنك قمتَ بدراسة المشكلة من مختلف جوانبها، فالمعرفة خير سلاح لمواجهة المواقف المبهمة، وينطبق ذلك على مرضٍ أصاب أحد أحبائك، أو أية مشكلة أخرى تستدعي الإلمام بجوانبها وتوضيح حجم الخطر الحقيقي قبل وضع خطة للتصرف.

اقبل الرشوة!

نحن لا نقبل رشوةً من الآخرين، لكن لا مانع من أن نقبلها من أنفسنا!

فعندما يكون هدفنا بعيدًا وصعبًا، فلا مانع من تقسيمه إلى محطاتٍ أصغر، تُمكننا من الإحساس بالنجاح عند الوصول إليها، وبالتالي الاحتفال والشعور بالسعادة، والاستعداد لتحقيق الخطوة التالية.

وينطبق ذلك على الأهداف الصغيرة أيضًا!

فاستذكار درسٍ صعبٍ لمدة ساعتين في الظهيرة، سيصبح أيسر إذا ما كانت المكافأة هي مشاهدة فيلمك المفضل بصحبة أصدقائك في المساء.

لا تتوقع البلاء قبل حدوثه!

t.me/qurssan

فعندما يداهمك مرضٌ ما يشك طبيبك في خطورته فيطلب منك إجراء فحوصاتٍ طبيةٍ لن تظهر نتيجتها سوى بعد أسبوعين من الآن، فأمامك خياران، إما القلق "مسبقًا" طوال الأسبوعين بدون التأكد من حقيقة إصابتك بالمرض، وإما الخيار الثاني وهو الأصعب لكنه الأكثر حِكمة، وهو الاستمتاع بتلك المدة بلا قلق، وبعدها قد تعرف أنك مريضٌ ومن حقك أن تقلق حينها، أو أنك سليم، فتكون بذلك قد جنَّبت نفسك الوقوع في فخ القلق والحزن لمدة أسبوعين كاملين!

نصيحة صعبة جدًّا في التنفيذ، لكنها عقلانية لأقصى حد ممكن!

قلل مهامك!

فالحياة الحديثة تفرض علينا فكرة "تعدد المهام" التي أصبحت صفة محمودة، خاصة لدى المرأة!

فكلما كانت لديها القدرة على الوقوف في المطبخ، والاستذكار مع الأولاد، والعمل من المنزل، والرد على البريد الإلكتروني وإجراء مكالمات مع العائلة والأصدقاء في نفس اللحظة، كلما كنتِ امرأة مثالية، وهو أمر في الحقيقة مُدمر للأعصاب ومثيرٌ للتوتر.

بينما في الحقيقة فعل شيء واحد فقط بتركيزٍ وشغفٍ يُعتبر أفضل من القيام بأشياء متعددةٍ بلا استمتاع.

واجه المشكلة، ولا تتجنبها!

فمواجهة المشكلة مهما كانت صعبة فإنها أفضل من

t.me/qurssan

الدوران حولها.

ومواجهة المشكلات سينهيها، وبالتالي سيوفر عليك عناء الهروب و"اللف والدوران"، وسيجنبك مقابلتها في المستقبل، فالمشكلة التي تتجنبها اليوم لن تُحل من تلقاء نفسها، بل فقط تختبئ وسرعان ما تظهر من جديدٍ في المستقبل وتُجبرك على حلها، لذلك واجهها الآن وأنهِ الموقف الصعب "الآن" وليس غدًا.

تقبَّل مشكلاتك النفسية الصغيرة!

فالقلق والحساسية الزائدة أحيانًا صفاتٌ لها فائدة، وبدون مثل هذه الصفات، سيصبح الإنسان مجرد "آلة صماء"، فتقبّل وجود نقاط ضعف لديك، لأن هذه الصفات هي جزءٌ من شخصيتك ولا يجب الخجل منها، بل هي مفيدةٌ في بعض الأحيان.

تعامل مع الحقائق وليس التكهنات!

فالكثيرُ من الأفكار السلبية موجودٌ في عقلك أنت فقط، ففلان لا يحب طريقتك في الحديث، وفلان لا يعجبه ذوقك في الملابس، وفلانة تظن أنها أفضل منك، كلها أشياء نتخيل أنها حقائق مجردة، فقط بسبب تكهناتٍ خاطئةٍ قمنا بها، وبدون وجود دليلٍ حقيقي عليها!

فلا يجب أن ننساق وراء أوهامٍ كتلك بدون داعٍ، ولا أن نقفز نحو استنتاجاتٍ غير مبنيةٍ على حقائق، فالتّسير وراء الإحساس مهم، لكنه لا يوصل دائمًا للحقيقة الكاملة.

لا تقارن نفسك بالآخرين!

t.me/qurssan

ولا تقارن أولادك بأولاد الآخرين، فالمقارنة فيها سم قاتل!

وهذه الأسرة الأكثر ثراء من أسرتك، بالضرورة لها مشكلاتها الخاصة وجوانبها المظلمة.

وهذه المرأة الأكثر نجاحًا في العمل، بالتأكيد تعاني من مشكلة لا تعرفينها أنت.

فلا تضعي أو تضع نفسك في مقارنةٍ ظالمةٍ مع غيرك، فلا طائل من وراء ذلك سوى تكريس الشعور المستمر بعدم الرضا.

عدَّ من واحد إلى مائة!

فعندما تستمع لخبرٍ سيئ، أو خطأ قام به زميلك في العمل، أو قرار سيئ اتخذه شريك الحياة، أو رسالة مستفزة تصلك ويجب أن ترد عليها فورًا، فلا تتعجل في الرد.

بل خذ نفسًا عميقًا واعط لنفسك الفرصة للتفكير أولًا قبل أي رد فعل يصدر عنك، لأن ذلك من شأنه أن يُجنبك التسرع، وبالتالي يجنبك الوقوع في المشكلات بلا داع.

تجنب كلمة "ماذا لو"؟!

فلا تندم على الماضي وما حدث به، ولا تقول "لو لم أقع في ذلك الخطأ لكان حالي أفضل الآن"، فلا طائل من الندم، بل فكر في تحسين الحاضر ولو بجهود بسيطة، فذلك أفضل من البكاء على اللبن المسكوب.

t.me/qurssan

اعرف أسباب توترك وتجنبها!

فأحيانًا نتردد على نفس الأماكن المزدحمة، ونخرج مع نفس المجموعة التي تتسبب في استفزاز مشاعرنا، أو نأكل الطعام الذي يُسبب لنا ألمًا بالمعدة. مثل هذه الأفعال يجب أن نتخلص منها قبل أن نشكو من كونها سببًا في فقدان أعصابنا مرارًا وتكرارًا!

فكل ما يُثير أعصابك يجب أن تتجنبه فورًا مهما كان الثمن غاليًا.. على الأقل حاول!

استمتع!

فالحياة لا تتوقف فقط على النجاح والإنجاز، فلا معنى لأي هدف نحققه بدون أن يقودنا إلى المزيد من الاستمتاع بالحياة. ومن الخطأ أن نؤجل الاستمتاع كلية حتى نحقق الهدف أولًا!

بل يجب أن نستمتع أيضًا خلال رحلتنا نحو الهدف.

استمتعوا بصحبة أحبابكم، وبالرياضة، والتنزه، وبالطعام الشهي.

ولا مانع أحيانًا من أن نستيقظ متأخرين ولا نفعل أي شيء خلال يومنا سوى الاسترخاء إذا كنا نحتاج لذلك، فالمتعة مهمة كي نستطيع إكمال رحلة الحياة وتحقيق الأهداف.

فالوصول للرضا أو السلام النفسي هو من أهم أهداف الحياة إن لم يكن أهمها على الإطلاق!

t.me/qurssan

(٧)
رحلة راهبة بين راحة الجهل وقلق المعرفة!

ماذا لو استيقظت من النوم لتكتشف أنك شخصٌ آخر غير مَن اعتدت أن تكونه؟!

يطرح المُخرج البولندي Pawel Pawlikowski هذا السؤال الصعب من خلال فيلمه (Ida) الذي قام أيضًا بكتابته بالاشتراك مع Rebecca Lenkiewicz.

الفيلم تم عرضه في عام٢٠١٣، وحصد عدة جوائز تُوجت بالأوسكار.

تكتشف بطلة الفيلم (الممثلة البولندية Agata Kulesza)، والتي نشأت في الكنيسة "كراهبة"، أنها يهودية الأصل، وأن عمتها (AgataTrzebunchowska) هي الوحيدة الباقية من عائلتها على قيد الحياة.

تدخل البطلة في رحلة للبحث عن ماضي أفراد عائلتها الذين قُتلوا جميعًا خلال الاحتلال النازي لبولندا، تبحث عن رفاتهم لإعادة دفنها في مقبرة العائلة.. وبالتوازي تبدأ رحلتها الداخلية في الصراع بين قناعاتها وبين واقعها الجديد، ولا تفارق الحيرة وجه البطلة وعقلها طوال رحلتها.

تصحبها في الرحلة عمتها واندا أو "واندا الحمراء" كما يُطلقون عليها، وهي قاضية لها تاريخ في مقاومة الاحتلال النازي، تم تلويثه بالكثير من أحكام الإعدام العشوائية أصدرتها بعد التخلص من الاحتلال، ضد مَن يُطلق عليهم

t.me/qurssan

أعداء الشعب، وذلك في فترةٍ دمويةٍ من تاريخ بولندا.

فقدت العمة هي الأخرى طفلها الذي تم قتله مع باقي العائلة... بينما تعيش بعد تقاعدها حياةً مليئةً بالضياع تُحاول بها الهروب من ذكرياتها..

الصراعُ أو التناقض الظاهري بين البطلة التي يفترض أن تمثل النقاء التام، وبين عمتها الغارقة في الخطيئة، يتلاشى تدريجيًّا خلال الرحلة ليصبحا في النهاية كأنهما وجهان لعملةٍ واحدةٍ.. فمشاعر الألم والحيرة التي تجمعهما أكبر من قدرتهما على التحمل.

تكتشف البطلة أن من قتل والديها مسيحي "مثلها"، وبينما يُخبرها بالسر يؤكد لها ثقته فيها لكونها "راهبة".. ترخي البطلة عينيْها، فلم تعد تثق هي ذاتها في أي شيء بسبب الاكتشافات المتتالية التي جعلت إيمانها في مهب الريح.

أداءُ البطلة وباقي الممثلين في الفيلم كان مقتصدًا للغاية ومكثفًا، واعتمد على التعبير الصامت بلغة العيون في الأغلب.. يترك هذا الأسلوب الفرصة لكل متفرج لتفسير الأشياء وفقًا لرؤيته، الأمر الذي يخدم الفكرة وراء الفيلم "من الخطأ أن نتبنى رأيًا قاطعًا تجاه الأشياء"..

اللقطات القريبة من وجه البطله بدت وكأنها محاولة لاقتحام صمتها الذي يُخفي الكثير من المشاعر المضطربة والمدفونة تحت السطح الهادئ.

t.me/qurssan

في مشاهدها التي تنفرد فيها بنفسها.. ترى البطلة "المسيح" وتُخاطبه هامسة له في حيرةٍ.. كأنها تطلب عونه أحيانًا، أو تسأله عن حقيقته في أحيانٍ أخرى.

اعتمد المخرجُ على "الأبيض والأسود" فقط في الفيلم رغم ظهور الألوان في بداية الستينيات حيث تدور القصة! لكنه اختيار خدم المعنى العام والإحساس السائد في الفيلم، فالكثير من الناس لا يرون في الحياة إلا أبيض أو أسود فقط ولا غير، متجاهلين الطيف الواسع من الدرجات بينهما!

ونفس الشيء بالنسبة لاستخدامِ الإضاءة الخافتة، والظلال الكثيفة، والقطع شبه المُتعسف الذي ميَّز مونتاج الفيلم.

في عددٍ من اللقطات تعمَّد المخرج أن يُخفي جزءًا من وجه الأبطال من الكادر.. سواء خلف جدار أو غيره.. وكأن الأفكار الكبرى تبلع الأشخاص أحيانًا لأنها تفوق قدرتهم على الفهم.. أو ربما لأننا لا يُمكننا الإلمام بخبايا النفوس، فمن الصعب أن نفهم الآخر ما دمنا لم نمر بما قابله هو في رحلته من متغيراتٍ أثرت في أفعاله.

فالحقيقة الكاملة مثلها مثل الصورة الكاملة.. "وهم" لا يوجد في الواقع..

ظهر ذلك بشكلٍ واضحٍ في المشهد الذي يجمع العمة بقاتل عائلتها، هي تُلقّي عليه الاتهامات المتتالية وهو جالس أمامها لكنه لا يظهر في الكادر.. هو ليس قاتلًا،

t.me/qurssan

بل ربما رجلٌ عاديٌّا قتل بدافع الخوف.

يبدو عالمُ الفيلم ثابتًا وغير ديناميكي، فيما عدا المشاهد التي صُورت داخل السيارة التي حملت البطلة خلال رحلتها، والتي قادتها عمتها التي صحبتها خلال تلك الرحلة..

فحركة السيارة العنيفة تواءمت مع الاهتزاز النفسي العنيف الذي واجهته البطلة في حياتها بلا مقدماتٍ.

الفيلم يُواجهنا بفكرة "التعصب" الموجودة بداخلنا، والتي نتناسى معها أن معتقداتنا قد اختيرت لنا سلفًا.

فنحن قد نُقدس تماثيل صنعناها بأنفسنا، وعند مواجهتنا لبعض الأمور التي نعتقد أنها صُلبة وراسخة للغاية، نجدها أحيانًا لا يمكن الاعتماد عليها ربما لفرط هشاشتها..

ورغم ذلك فإن هذا التعصب قد تُراق من أجله الدماء.

Ida فيلم عن "فهم الذات" بامتيازٍ، وإن غلفت الفكرة أغلفة سياسية ودينية من الخارج... فرغم ثراء الصراعات الأيديولوجية التي شهدتها فترة الحرب العالمية الثانية وما تلاها، والتي تدورُ خلالها أحداث الفيلم، فإنها لم تكن سوى غطاء لرحلةٍ إنسانيةٍ شاقة خاضتها البطلة ويخوضها معها كل من يشاهد الفيلم خلال ٨٠ دقيقة من المشاعر المكثفة والتساؤلات الصعبة..

فماذا تفعل لو كنت مكان شخصٍ آخر؟!

سؤال يصعبُ أن تجد له إجابة.. إلا لو ارتديتَ بنفسك حذاء ذلك الشخص.

t.me/qurssan

(٨)
مدينة المُسدسات

أستيقظ من نومي وأمد يدي تلقائيًّا لألقي عليه نظرة قبل بدء اليوم .. أسود غطيس مقطوع النَّفَس.. ما هذا الحظ؟!

اعتدتُ أن أنظر إليه يوميًّا بعدم اكتراثٍ ولسان حالي يقول "إمتى يا شيخ تروح في داهية وأرتاح من زنّك في وداني؟".

أرى في وجهه أشخاصًا حاولوا الوصول إليّ أثناء نومي.. أتفقد مواعيد اليوم..

نظرة عابرة على البريد الإلكتروني ولا مانع من المرور على "فيس بوك"..

ينتهي الأمر بأن ألقيه بغير اكتراثٍ بعد فتح "الجرس"..

علاقتنا مُعقدة.. بها الكثير من الحب والكراهية.. لكن لا أنكر أنه كدفتر الحضور والانصراف الذي يجب أن أوقّع عليه قبل النوم وبعد الاستيقاظ..

أعلن به للعالم أنني انتقلتُ من عالم الموت المؤقت إلى عالم اليقظة..

هو التقرير اليومي الذي يجب الاطلاع عليه قبل بدء الأعمال!

ولأنني اليوم قد استيقظتُ من نومي لأجده مقطوع النَّفَس.. فقد عرفتُ أن اليوم لن يكون اعتياديًّا.. وربما

t.me/qurssan

منَّيت نفسي بيوم هادئ، أو هكذا حاولت خداعها وأنا أحدثها "مش ده اللي كنتي عاوزاه؟ اتبطي بقى!"..

نصف ساعة مرَّت وأنا "مش على بعضي"..

أتفقده مجددًا لأجده "ميتًا"، كما يقولون..

لم يقع مني أمس وكان في "الشحن" حتى آخر لحظة..

ربما تعب من كثرة التطبيقات التي أستخدمها..

هذه وِجهة نظر صحيحة بالتأكيد رغم سذاجتها الظاهرية!

كنت من قبل أرفض استخدامه كأجندةٍ أو كجهاز كمبيوتر رغم أنه مُصمم لهذا الغرض، طالما فضَّلت استخدامه للغرض الأساسي الذي صُنع له: تليفون للضرورة عندما لا نكون بالمنزل!

لكن ما باليد حيلة.. الأشياء تتطور ونتطور معها رغمًا عنا ولا نستطيع مقاومة إغراء التقدم وما يمنحه لنا من آفاق..

وها هي ذي نبوءتي تتحقق.. "الموبايل باظ" لأنه لم يعد يتحمل كل هذه الأشياء..

فـ"البرامج كانت تقيلة عليه كما يقولون"!!

هو التفسير الوحيد المقبول، رغم شعوري أنني أميل في هذا الرأي لأن أكون "ربة بيت تقليدية ساذجة"..

يمر الوقت وأنشغل بالمُعتاد من الأعمال وأنسى..

لكن شيئًا ما ينقصني، ويُعكر صفوي!

وكعادتي أبدأ في مراجعة أحداث اليوم لمعرفة ما يُمكن أن يكون قد تسبب في اكتئابي ولو بغير وعي..

t.me/qurssan

لا يوجد اليوم غير موضوع الموبايل!

أنا غير "مظبوطة" منذ الصباح، كأنني لم أشرب القهوة بعد..

هل الاطلاع عليه في الصباح كشرب الكافيين يمنحني القوة المطلوبة كل يوم، حتى وإن كانت مجرد قوة إيحائية؟ أم أن ما يُنغص فكري هو السؤال الذي يختلج صدري الآن "يا ترى فاتني إيه وهو بايظ؟!"..

الـ "سمارت فون"، ذلك اللعين، هو ببساطة قنبلة موقوتة تُهدد الصحة والوقت والمال ومع ذلك نحبها..

يبدو ككلام الأمهات ولكنه حقيقي بنسبةٍ أو بأخرى!

وطالما تمنيتُ العودة لسنوات ما قبل "الموبايل".. والعيش بدون ملاحقة الآخرين التي يتسبب فيها.. لكن مع ذلك لم أجرؤ على فعل ذلك أبدًا.. رغم أنه في الإمكان.. على الأقل نظريًّا!

كيف أصبح لهذا اللعين كل هذه الأهمية؟ كأننا لم نكن نحيا قبل أن يصل إلينا هذا الشيء المعدني الصغير العجيب؟

ماذا سأفعل بدونه؟

سأقوم بإصلاحه! يوم ويعود كما كان..

لكن يومًا واحدًا بدونه وقتٌ طويلٌ.. جدًّا!

كلما مرَّت الدقائق أتذكر شيئًا جديدًا سأفوِّته بعدم اعتمادي عليه..

t.me/qurssan

كيف سأعرفُ أن الأولاد قد وصلوا وعلى استلامهم بدون أن أسمع "رنَّة" مشرفة الأتوبيس؟

كيف سأؤكد حجز الطبيب، وأرقامه، وموعد الكشف مُسجلين عليه وليس في ذاكرتي للأسف؟

حتى ذاكرتي تكاسلت وارتكنت إلى الاعتماد على هذا اللعين؟!

عندي" ١٤٠ دليلًا"، ووسائل أعوِّض بها غيابه، لكن يلزمني بذل بعض المجهود وأنا على غير استعدادٍ..

الفيس بوك!

نسيته ويا للمصيبة، كيف أتابعه وأنا خارج المنزل وكيف سأتأكد أن أحدًا لا أعرفه قد كتب تعليقًا سخيفًا عندي، أو شتمني دون سببٍ كما حدث منذ عدة أعوام؟.. احتمالٌ ضعيفٌ يحدث كل سنةٍ مرة لكنه قد يحدث اليوم..

بدونه لا شيء يغطيني.. ألهذا الحد أصبحتُ اعتمادية وعالمي "هش"؟

لا ورقة مدونًا عليها أرقام.. ولا أي شيء ملموس.. كل شيء افتراضي وقابل للضياع والاختفاء في لحظةٍ..

لم يكن من المفترض أن أعتمد على التكنولوجيا الغبية، فبقدر الجهد المبذول فيها بقدر غدرها وعدم إمكانية الوثوق بها.

أكلم أمي من (الأرضي) لأشاركها أفكاري؟

لكني أعرف ردها: "مش قلت لك خلّي معاكي نوتة بكل

t.me/qurssan

الأرقام؟ صعبة دي؟"

لن أتكلم!

تبًّا للتكنولوجيا.. المُتغطي بها فعلًا عريان.. والعجائز لهن وجهة نظر صحيحة أحيانًا.

أتخيل أن أحد أجداد أجدادي عاد ليعيش معي يومًا واحدًا.. هل سيصدق حجم المخاطرة التي تحياها حفيدته؟!

يروقُ لي هذا الخاطر الذي يشغلني قليلًا عن مأساتي.. أن أصبح بطلة خارقة في نظر هذا الجد المسكين!

بيوتنا ممتلئة بالأجهزة الكهربائية..

ماس صغيرٌ وتكون الكارثة- الشر برَّه وبعيد اللهم عافنا- ومع ذلك نعيش المخاطرة اختياريًّا أو إجباريًّا..

البنايات الشاهقة والذي لا يتردد أحدهم أن يجعل مقر سكنه فيها.. مُدركًا أنه سيركب "الكهرباء" طلوعًا ونزولًا مراتٍ ومراتٍ..

السيارة التي تقودها بسرعة ١٢٠ كم في الساعة وسط العشرات من السيارات..

ألن يحدث خطأٌ بشري واحد مع كل هذه التكنولوجيا؟ لماذا إذن لا تأخذ حذرك؟!

لا مجال للحذر!

وإلا فاخرج من دائرة الحياة العصرية.. أو اقبلها وعش على صفيح ساخن.. جدًّا!

إنها المدنيَّة الحديثة.. بل هي حياة الإنسان منذ الأزل

t.me/qurssan

وقبل الكهرباء والذرّة واختراع الطائرات!

فاكتشافُ النار كان حدثًا فارقًا في تاريخ التطور البشري، رغم فداحةِ ما تشكّله من خطر على الإنسان.

تاريخُ الحضارة هو رحلة الاكتشاف والمخاطرة.. وحيث لا توجد مخاطرة لا يوجد تطور ولا توجد متعة..

وفي أبسط الأشياء تكمن المخاطرة..

فالمشروباتُ الساخنة تستلزم لصنعها تسخين الماء لمائة درجةٍ مئويةٍ..

ما أعجبك أيها الإنسان!

وحتى نزول السلم العادي به نسبة من المخاطرة.

لا أحد يستطيع أن يوقف "عجلة" التطور، لكن هل نحن في "حاجة" بالفعل لكل هذه المستجدات؟

شبكاتُ التواصل الاجتماعي جعلت الآخرين عند أطراف أصابعك وإن كانوا في الطرف الأدنى من الأرض..

دائرةٌ واسعةٌ من الاتصالات لكن ماذا عن العَلاقات؟ سطحية وعابرة وخادعة أحيانًا.

زاد الاتصال وقل التواصل..

زادت القدرة على الوصول للمعلومات وقلت القدرة على تحليلها.

هل كنا في حاجة لكل ذلك؟ هل الحاجة أُم الاختراع فعلًا أم العكس هو الصحيح؟

دارت بذهني قصة "مجتمع المسدسات" التي نقلها

t.me/qurssan

المفكر الكبير د. جلال أمين عن كتاب لأحد أساتذة الاقتصاد في جامعة لندن، حيث ترجمها وقدَّمها في مجلة الأهرام الاقتصادي في الثمانينيات، ثم في كتابه "رحيق العمر" بعد أكثر من عشرين عامًا.

تُلخص القصة حال دولةٍ خياليةٍ يتمتع المواطن فيها بحريةِ حمل السلاح دون ترخيص، فتزدهر تجارة المسدسات، وبالتالي تزدهر كل الصناعات المرتبطة بلوازم حمل السلاح وصيانته، وبالتالي صناعة الزجاج المُضاد للرصاص للمنازل والسيارات، وكذا أعمال شركات التأمين ومصانع الأدوية المُهدئة!

فالرواج الاقتصادي قد حدث بالفعل على كل الأصعدة، وساد منطقُ السوق والعرض والطلب مما أدى لانتعاشٍ، يُمكن اعتباره نوعًا من أنواع النمو الاقتصادي الظاهريّ..

إلا أن ذلك لم يُثمر منفعةً حقيقيةً للمجتمع في هذا الطرح الذي يرفض فكرة النمو الاقتصادي كهدفٍ في حد ذاته يجب السعي إليه، حيث يرمز الهوس بالمسدسات في القصة إلى الهوس بتكاثر السلع والخدمات في حياة الإنسان في العصر الحديث.

هل الحاجة أم الاختراع؟

هل الاحتياجات البشرية هي التي تدفع الإنسان للاختراع؟

أم أن طيش الإنسان ونزقه ورعونته الجميلة تدفعه للسعي نحو مجتمع الرفاهية بخلق حاجاتٍ غير موجودةٍ أصلًا ثم اختراع أشياء لتلبية هذه الاحتياجات المصنوعة

t.me/qurssan

ضنعًا؟

أم أن "الرأسمالية" هي وحدها كلمة السر وراء تطوير كل تلك المُستجدات؟

أتذكر مأساتي أنا وأنظر إلى الكائن المعدني الأصم.. لم يتأثر بقصة مجتمع المسدسات.. ما زال كما هو.. أسود غطيس مقطوع النَّفَس.. ميتًا كما يقولون!

t.me/qurssan

(٩)
إلى صديقتي التي في السماوات

عزيزتي الجميلة أنظر للسماء وأفكر بكِ.. كم كنتِ كفراشةٍ رقيقة تنشرين البهجة من حولك.. كانت ليلة صيف قاسية ثقيلة، وكنتُ بسذاجتي أفكر في همومي الصغيرة، ثم كي ألتمس بعض السلوى وتشتيت الانتباه عن حالة القلق المُزمنة التي تُصيبني لجأتُ إلى صفحات التواصل أو "اللا تواصل" اللعينة، قرأتُ على صفحتك كلمات العزاء من صديقاتك..

كلماتٌ كثيرةً مُتلاحقة أصابتني بالخوف، يا ترى من فقدتِ من أقاربك؟ هل المتوفّى فردٌ من أسرتك؟ والدك أم والدتك؟

تابعتُ القراءة لعلي أفهم المقصود فأرسل لك كلمات التعزية المناسبة.. البقاء لله وربنا يصبرك يا عزيزتي في فقد فلان أم فلانة، أتابع القراءة لأعرف من سأواسيك في فقدانه أو فقدانها، أقرأ شيئًا يستعصي على فهمي..

صديقاتك يواسين أنفسهن في موتك أنت؟! بالتأكيد سوء فهم.. لكن لا.. الموتُ ليس به سوء فهم بكل تأكيد.

قالت لي صديقتي منذ سنواتٍ إنه عندما ماتت والدتها ظلت تصرخ في الطبيب، بالتأكيد هي مغشى عليها، أو نائمة، أو في غيبوبة، "أليس لديك تصرف تفعله لإيقاظها

t.me/qurssan

بدلًا من كتابة شهادة وفاتها؟ فقط حاول وابذل بعض الجهد.. لعلها تستيقظ مجددًا"!

في العادة نُنكر موت أحبائنا، خاصة لو كانت المُقدمات لا تدل على قرب النهاية، نتوقع الموت للعجائز فقط؛ أما الصغار، فحتى لو كانوا مرضى فإننا نعرف أنهم سيعيشون رغم معاناتهم.

وأنت يا عزيزتي بالذات، لم أتوقع موتك، ما زلت أقرأ في كلمات صديقاتك بطريقةٍ هستيريةٍ، كأنني أريد المزيد من التوكيد قبل أن أذرف دموعي..

وتأكدتُ، لكن لم أستطع البكاء، لا أستطيع استيعاب الأمر حتى الآن.. أنا خائفة عليك وعلى نفسي، يا لحقارة الدنيا وتفاهتها وتفاهتنا.

ألتمسُ بعض الصبر بتذكرة نفسي أنك في الجنة، لكن أعرف أن جسدك ووجهك الجميل تحت التراب وحده في الظلام الآن..

كيف يأتيني النوم وهذه الصورة تملؤني؟ ربما لو كان الموتى يرحلون فتتبخر أجسادهم في الهواء لكان الأمر أهون في تحمله من وضعهم تحت هذا التراب بأيدينا..

والدتك بالتأكيد ماتت لحظة موتك، من الطبيعي أن ندفن آباءنا ونحزن عليهم، لكن أن يدفن بعضُ الآباء أطفالهم.. فكرة قاسية جدًا مهما كبر الأبناء أو مرضوا.. فكرة تتعدى في قسوتها الحزن الاعتيادي..

الأصعب يا عزيزتي هو ما تقوله الأخريات بعد موت عزيزة

t.me/qurssan

مثلك، هل يواسين أنفسهن أم يهربن من مخاوفهن ليلتمسن الأمان النفسي بكلماتٍ بعضها حزينة وبعضها جوفاء.. ألا يفكرن قبل الاسترسالِ في كلماتٍ موجعةٍ؟ ألا يفكرن قليلًا، ألا يحتفظن بنصائحهن الثمينة لأنفسهن؟ للأسف لا يا عزيزتي..

كل الأصوات تدعو لك بالرحمة، الكل حزينٌ ومصدومٌ لفراقك المفاجئ، لكن سرعان ما تذهب المفاجأة وتبدأ التعليقات والاستنتاجات العبقرية الفارغة، يظهر صوتٌ آخر يحمل نصيحة للصديقات على استحياءٍ وقح.. على أساس أن الأحياء أبقى من الأموات، تتلخص النصيحة في ضرورة التزام الصديقات بالحشمة طوال الوقت لأن الموت قد يُفاجئهن ولن يلتمس أحدٌ لهن العذر حتى لو كن على شواطئ الساحل الشمالي وقت موتهن مثلما حدث لكِ!

صديقتك مُشفقة عليك من غضب الله يا عزيزتي، لا تراك ضحية طبيبك الذي أهمل في عمليةٍ جراحيةٍ أجراها لك منذ سنواتٍ، ربما هو يستحق العقاب، هو أولى بالشفقة والخوف عليه من حساب الآخرة لأن حساب الدنيا غائب.. فالكل يعتبر ما حدث لك قضاء و"قدر".. الكلمة السحرية التي تُنجي من الهلاك..

في كل مصائبنا نتخطى مناقشة فكرة الإهمال، نخيف من يتكلم عنه كأنه تطاول على الله ذاته، ثم نأخذ مكانه سبحانه ونبدأ في محاسبة الراحل أو الضحية، ربما لنزيل تهمة عن أنفسنا لم يُوجهها لنا أحد، أو ربما بغير أن ندري

t.me/qurssan

نتهم أنفسنا، نتحسس "البطحة" التي على رؤوسنا، أو نُطمئن أنفسنا ونلتمس لها الأمان الداخلي الزائف.

بينما ينبري البعضُ الآخر في التبرير والدفاع عن الموتى من التهم المنسوبة إليهم.. فيسمونهم شهداء.. ولا يلتفت أحدٌ للمتسبب في الموت نفسه.

أعلم- يا عزيزتي- أن الحياة ليس لها ثمن هنا، عرفتِ أنت ذلك بالتأكيد الآن.. وأعلم كذلك أن موتك كان بسبب خطأ طبي غبي لم يكلف الطبيب نفسه عناء الاعتذار عنه ولم يسأله أحدٌ عنه استكمالًا للمزايدة على إيمانهم بالقضاء والقدر وعلى مثاليتهم الفارغة.

لستِ الأولى- يا عزيزتي- ولن تكوني الأخيرة، فالموتى يقعون فُرادى وفي مجموعاتٍ، يهنئهم البعض أو يشمت بهم، يوزعون جميعًا رحمة الله وغضبه حيثما يشاءون، متناسين أن وراء كل فقيد غيَّبه الموت مخطئًا أو مهملًا، تنقذه عقولهم وكلماتهم الفارغة من العقاب الذي يستحقه.

t.me/qurssan

(١٠)
موت فاتن وحياة صباح

١) يقول أنيس منصور: "الحياة صناعة لبنانية والموت صناعة مصرية"..

قرأتُ هذه العبارة القاسية في أحد كتبه منذ سنواتٍ وغضبت..

ربما خزنتها ذاكرتي لسببٍ لا أعرفه، حتى تذكرتها مجددًا لسبب أعرفه!

٢) منذ سنواتٍ قليلةٍ مضت رحلت عنا الجميلة الأنثى المصرية الراقية، سيدة الشاشة كما يقولون.. انتظرت وقتها أن يكون موتها أنيقًا كحياتها..

أعودُ بالزمان لأسابيع قليلةٍ سابقةٍ على رحيل فاتن.. سبقتها صباح إلى نفس المكان.. الشحرورة الجميلة التي طالما سخر الساخرون من بقائها على قيد الحياة كأنها كانت عبئًا عليهم شخصيًا!

صباح أرادت أن يكون رحيلها مُبهجًا كحياتها فأوصت محبيها بألا يحزنوا، ففعلوا!

فجاء وداعها غريبًا على أنظارنا.. راقصات وراقصين وغناء، والنعش أيضًا كان تقريبًا يرقص!

بل وصاحبت فرقة الموسيقى العسكرية اللبنانية مسيرتها الأخيرة..

لا انفصام لديهم.. يقولون: نحترم الفن. ويحترمونه

t.me/qurssan

بالفعل.

في مصر تلقى البعض صور الجنازة كما اعتاد أن ينظر للشحرورة في سنواتها الأخيرة.. بالسخرية.. النعش الراقص أثار استهزاء البعض وغضب الكثيرين..

كتب صديقٌ لي من العالم الافتراضي "الفيسبوك" أنه عرف معنى سوء الخاتمة من مشهد جنازة الشحرورة..

جنازتها غريبة وغير مُعتادة بالنسبة لنا بالفعل..

لكن الأمر الذي أصبح معتادًا لدينا هو إصدار الأحكام.. فما أكثر مَن يعتقدون أنهم وحدهم يفهمون العلامات التي يرسلها الله.

ربما كان المشهد "غريبًا" بالنسبة لي.. لكنه لم يكن "قبيحًا" .

٣) فاتن لم تكن تستحق فرقة موسيقى عسكرية.. بل كانت تستحق ما هو أكثر من ذلك.. ربما جنازة عسكرية رسمية مهيبة..

لم يحدث.. فجنازتها كانت شعبية.. شعبية بالمعنى السيئ للكلمة وليس الجيد..

تزاحم وصراخ وعشوائية أدت لوقوع النعش.. أو كاد أن يقع من أيدي المُودعين الغاضبين..

نحن لا نُعبر عن لوعة الفراق بالرقص أبدًا كما فعل مُحبو الشحرورة.. ولم نُعبر عنه بالصمت والدموع .. عبَّرنا عنه بهستيريا وبغضب وقبح..

t.me/qurssan

مصدرو الأحكام لم يصمتوا هذه المرة أيضًا، وكيف لهم أن يفعلوا..

يعتقد البعض أن الزحام في توديع الجنازة رحمة من الله إذا كان المتوفى شخصًا عاديًّا.. أما الأكثرية فترى ما حدث لفاتن بالذات كسوء خاتمة..

سوء خاتمة وعلامة من الله يقرأونها وحدهم ولا يضعون وزنًا لغباء البشر، الذي يصنع أحيانًا بعض الأخطاء التي لا يرضى عنها القدر.. لكنها العلاقة الحتمية بين السبب والنتيجة، والتي لا يعترفون بها رغم بداهتها.

سوء خاتمة.. طبعًا ومن أحق به من وجهة نظرهم من امرأةٍ... تعمل بالفن!

٤) مع حلول الذكرى الأربعين لرحيلها تُعلن القنوات عن برامج تستعرض مسيرتها وحياتها.. أشاهد البرنامج أنا وبعض الأصدقاء في شغفٍ.. أتساءل: لماذا لم يكن الناس يتعجلون وفاة فاتن كما تعجلوا وفاة صباح؟

"زي ما يكونوا بيصرفوا على الأخيرة من جيبهم الشخصي!"

مع أن الاثنتين كانتا في سنٍّ متقاربةٍ..

يأتيني الرد على سؤالي التهكمي الذي لم أكن أنتظر إجابته.. يرتفع صوتُ إحداهن فجأة: "الاتنين عملوا بلاوي في حياتهم.. لكن على الأقل فاتن حمامة لما عجّزت احترمت نفسها.. مكنتش متصابية يعني.. حاولت تحترم سنها.."

t.me/qurssan

تنتابني حالة صمت لم أستطع معها الابتسام في وجه محدثتي..

"متصابية"... ترى ماذا تعني هذه الكلمة؟ هل كانت صباح قبل رحيلها تلعب بالعرائس وتلهو بالدراجة مع الأولاد؟ ربما.

يُصيبني هذا التحليل (التلقائي للغاية) بعدة إصاباتٍ يصعب النجاة منها.. يفتح لي بابًا من التساؤلات التي لا تنتهي لدرجة تحرمني من النوم..

تساؤلات عن معنى الحياة والتقدم في العمر ومفهوم الاحترام..

ناهيك عن سبب مساواة البعض بين الأعمال الفنية وبين البلاوي والدواهي..

الكثيرُ ممن ترحموا على فاتن كان سببُ تعاطفهم معها واحدًا..

"أصلها ممثلة آه.. بس على الأقل محترمة.."

فالفن الذي نستمتع به طوال الوقت حتى نكاد لا نحيا في غيابه هو قلة أدب في المُجمل ونادرًا ما يكون عكس هذا.. ومع ذلك يستمر كارهو الحياة في متابعة الأعمال الفنية بشغفٍ وفضولٍ، ولا أعرف لماذا.

"على الأقل لما كبرت احترمت سنها.."

والتقدم في السن الذي يعتبره ذوو العقول الناضجة فرصة للتأمل وحصاد حكمة الحياة وجوهرتها، لا يرى

t.me/qurssan

كارهو الحياة فيه سوى ترهل الجسد وبعض تجاعيد الوجه التي تجعل منه عورة تُؤذي العين.. خاصة لو كانت المتقدمة في السن أنثى، لا يراها البعض أصلًا سوى جسد له تاريخ انتهاء صلاحية!

والمشكلة أن السيدات على وجه الخصوص وهن الأكثر تعرضًا للظلم والأحكام المسبقة من المجتمع، هن الأكثر أيضًا في إصدار الأحكام المُجحفة على غيرهن من النساء... الاضطهاد يُولد الاضطهاد.

٥) ما كان يُثير سخرية الناس من حياة صباح وذنبها الأكبر في نظرهم هو حبها الشديد للحياة، والذي تُظهره دائمًا.. امرأة تُحب البهجة..

حتى هذه الصفة لا نعرفها عنها يقينًا.. لم يدخل أحدنا بيتها ويرى حياتها عن قرب!

لا نجزم إذا ما كانت سعيدةً ومرتاحة البال أم تعيسة.. فقط نحكم عليها سطحيًّا من مظهرها.

سيدة كبيرة في السن لا تكف عن الزواج.. أهو ذنبٌ عظيمٌ؟

هل خدشت الحياء العام وفتنت الفتيات الصغيرات وهدَّدت السلام الاجتماعي الذي ننعم به؟!

سيدة كبيرة في السن لا تكف عن الظهور بمكياجٍ كاملٍ وشَعر مصبوغ وملابس أنيقة..

عرفنا أنها تحب الحياة من مظهرها المُعتنى به.. بالأحرى هي تحب الجمال..

t.me/qurssan

المشكلة أن أغلبنا لا يُحب الجمال.. أو على الأقل يعتقد أن للجمال غرضًا ماديًّا محددًا لا ينبغي أن يخرج عنه.. فالمرأة الجميلة تتزين كي تلفت الأنظار.."تبًّا لها"!

أما تلك فتتزين أيضًا، لكن رغبة في الزواج والستر.. "غاية جيدة ومحمودة"!

أما ذات السبعين التي تهتم بقوامها فحدِّث ولا حرج.. امرأة مُنحلة بكل المقاييس.. "إيه اللي وداها هناك؟!".

صعب علينا أن نفهم أن تتزين امرأةٌ حبًّا في الجمال ذاته كما فطره الله، هذا كلام لا تستسيغه عقولنا..

"ما تربيناش على كده".

٦)مهما كانت نظرتنا لقيمة الجمال ومفهومه- النسبي في كل الأحوال- فهل الجمال عيب؟

هل الجمال إذا سلمنا بأهميته مرتبط شرطيًّا بصغر السن؟ صفة حكرية للصبايا؟ مصيدة فقط وحيلة تفرضها الطبيعة لجذب الجنس الآخر في موسم التزاوج، وبالتالي التكاثر وإعمار الأرض؟

هل كانت جنازة الصبوحة "قبيحة" لأنها مُنحلة، وجنازة فاتن "جميلة" لأنها مُحترمة؟

ننظر أحيانًا للحياة بعيون القبح، ونتساءل متعجبين: "لماذا حياتنا قاتمة وكئيبة لكل هذا الحد؟!".

t.me/qurssan

(11)
إنه يُحب الجمال!

ا) في المجتمعات التي ترتدي فيها النساء الملابس القاتمة والسوداء بشكلٍ دائمٍ..

هل يقل التحرش بهن أم يزيد؟ وهل يقل العنف عمومًا أم العكس هو الصحيح؟

شغلني هذا التساؤل لمدةٍ طويلةٍ جدًّا.. ولكن لا مجال في السطور القادمة للإجابة المباشرة، فالإحصاءات متوافرة لكل من أراد الاطلاع والمقارنة بين نسب التحرش في دول العالم المختلفة..

كما أن التفكير أيضًا في العَلاقات السببية متاحٌ لكل صاحب عقل..

ربما كان هذا هو المدخل الذي أحب أن أبدأ منه الحديث عن شيء يستحق الكتابة عنه من وجهة نظري رغم أنه مفهوم مجرد في حد ذاته.. أتحدث هنا عن مفهوم "الجمال"..

وعندما أذكر "الجمال" و"الإبداع"، فلابد أن يتطرق الحديث إلى مفهوم "الخلق" أيضًا، فلا يمكن لأي كائن أن يتجاهل أن المبدع الأكبر هو الله..

يتجلى إبداعه في كل شيء.. بدءًا من الزهور الرقيقة حتى الحيوانات المتوحشة..

ومن وجهة نظري فإن أجمل ما خلقه الله هو "الإنسان"..

t.me/qurssan

ويتجسد جمال "بني آدم" أكثر ما يتجسد في جمال أنثاه.. أي المرأة!

وأجمل ما يُزين المرأة "ثيابها"!

وإن كان البشر قد تجاوزوا منذ أزمنة فكرة العُري الحيواني.. وتوصلوا لثياب تقيهم البرد والحر.. إلا أن هذا الإنسان أو لنقل هذا المبدع الأصغر.. يأبى إلا أن يزين كل شيء حوله ليصبح تاريخ حضارته أو وجوده على الأرض هو تاريخًا للعمل الإبداعي ذاته.. من هنا أصبحت قطع الثياب زينة في حد ذاتها.

فالإنسان يستطيعُ أن يحيا في أبسط المنازل وقد يكفيه أقلها جمالًا.. لكن تاريخ البشرية ممتلئ مع ذلك بالأبنية الرائعة التي تشهد على جمال هذا العقل وهذه الروح واليد.. والسؤال هو لماذا؟!

ربما لأن الإنسان قد خُلق بأحسن تقويم وأفضل صورة، وأفضل عقل أيضًا، فأصبح هو بالضرورة صورة للجمال..

وكذلك صانعًا له.. أليس هو خليفة الله في أرضه؟

ومن تجلياتِ الإنسان على ما حوله من أشياء أن يجعلها أكثر جمالًا، فهذا البناء الشاهق الرائع قد يلبي حاجة الإنسان للدفء والمأوى بأقل التفاصيل.. لكن يأبى الإنسان الذي ورث الجمال من الخالق الأعظم سوى أن يُضيف له تفاصيل فنية تُحوله أحيانًا لتحفةٍ تسر الأنظار في نفس اللحظة التي تشبع بها حاجاته الأولية.

t.me/qurssan

نفس الشيء ينطبق ببساطةٍ على كل أوجه الحياة الإنسانية..

أما الملابس فحدّث ولاحرج، فعبر العصور ابتكر الإنسانُ أجمل الثياب، خاصة للمرأة التي يتجلى في تشكيلة ملابسها عبر الأزمنة إبداع الإنسان وحضارته..

ومع تطور الحضارة الإنسانية لم تعد الملابس فقط لستر الجسد أو التأقلم مع المُناخ، بل أصبحت رموزًا اجتماعية أيضًا.. شأنها في ذلك شأن كل شيء يصنعه الإنسان.

٢) بالعودة لرأس المقال.. وعلى الرغم من أن التاريخ البشري طويلٌ في مجال تطوير الملابس، وتحويلها لمظهرٍ من مظاهر الرقي والحضارة، تظل هناك مجتمعاتٌ لا ترتدي فيها النساء سوى الملابس السوداء.

ما المشكلة في ذلك؟

دعنا نتصور معًا تجمعًا إنسانيًّا تجمعه هذه السمة من الثياب القاتمة الطامسة للهوية والمتكررة كالنسخ الكربونية من جانبٍ، والتي تعكس صورةً متدنيةً عن الذات من جانبٍ آخر.. ماذا سيحدث للنساء وقتها؟

وقد تصبح الصورة أسوأ إذا كان هذا الاختيار المظهري ينبع من وعي جمعي وفوقي، أكثر منه اختيارًا شخصيًّا مبنيًّا على تفكيرٍ حقيقي ومنطقي لكل فردٍ على حدة.

وغالبًا ما ينبع ذلك من فكرة الربط بين الجمال وبين شهوة الجسد..

t.me/qurssan

وعلى الرغم من أن تلك الشهوة هي فطرة طبيعية بالنسبة للبشر لا غبار عليها في حد ذاتها، لكن جعلها أهم مقاصد البشرية والمبرر الأول لخلق الجمال، أو النتيجة الحتمية لإظهاره ما هو إلا اختزالٌ مُخل لقضية الجمال وفكرته.

٣) جعلت الفلسفة الجمال مقصدًا في حد ذاته، بل جعله الفلاسفة ثالث ثلاثة..

فالحق والخير والجمال.. هي الأسس أو القيم الأخلاقية الكبرى التي يجب أن يسعى لها الإنسان في رحلته على الأرض.

وما التقليل من قيمة "الجمال" لجعله محركًا فقط للغريزة، سوى نظرةٍ للإنسان من منطلق صفاته الحيوانية المحضة وتعمدٍ لإغفال احتياجاته الروحانية.

وإن كنا سنتحدث عن الحاجات البشرية التي لا يُمكن أن يحيا من دونها الإنسان، وإذا كانت الاحتياجاتُ الجسدية مثل الطعام والنوم والجنس هي قاعدة هرم الاحتياجات، فهناك أيضًا احتياجات يُقال إنها تالية لها من حيث الأهمية.

فالحاجةُ إلى الأمان ضرورية لحياة الإنسان، وكذلك الحاجة للحب والصداقة، وأخيرًا الحاجة لتحقيق الذات من خلال الابتكار والإبداع وخلق الفن وتذوقه.

وبينما يرى بعضُ علماء الاجتماع أن هذه الاحتياجات مرتبةٌ بشكلٍ هرمي تصاعدي بحيث لا يُمكن أن يبحث الإنسانُ عن احترام الذات مثلًا سوى بعد تلبية حاجاته

t.me/qurssan

الجسدية أولًا، فإن هذا الترتيب ليس هو القاعدة دائمًا..

فحاجة المُبدع لتقدير الذات والابتكار قد تكون أهم لديه من الشعور بالأمان المادي، كذلك الحال بالنسبة للصوفي الصائم القائم، حيث تتجلى راحته النفسية في أوقات تقشف بسيطةٍ وبعيدةٍ كل البُعد عن فكرة الإشباع الجسدي، فالإشباع الروحي يُصبح أهم في تلك الحالة وعند ذلك الشخص بالذات.

وهناك بعضُ الأفعال والتصرفات التي تُلبي أكثر من حاجةٍ إنسانيةٍ في اللحظة ذاتها، وما فصل الحاجات عن بعضها البعض، وترتيبها بهذا الشكل التعسفي الذي وضعه علماءُ الاجتماع سوى نوعٍ من التبسيط!

وربما هذا "الترتيب" في سُلم الاحتياجات هو "الحُجة" التي يستخدمها البعضُ في استنكار دعم حكومات الدول الفقيرة للفنون على سبيل المثال..

فهؤلاء يعتقدون أن الشخصَ الجائع لا يهتم برؤية الجمال من حوله ولا يهمه أبدًا الاستمتاع بأغنية.. هل تتفقون يا ترى أم تختلفون مع ذلك الاعتقاد؟

بالتأكيد سيكون هناك الموافق وهناك أيضًا المُعارض لهذه الفكرة..

نفس الشيء بالنسبة "للعاملة البسيطة" التي تقتطع من راتبها الضئيل مبلغًا لشراء فستانٍ جميلٍ يراه البعضُ لا لزوم له، بينما تراه هي "النسمة" الرائقة الوحيدة وسط حياتها المُمتلئة بالمصاعب، ونفس الشيء بالنسبة

t.me/qurssan

للأسرة ذات الدخل المحدود التي لا تقدر على الاستغناء عن مشاهدة القنوات الفضائية للترفيه عن أفرادها!

لا يوجد بالأمر أي تناقض أصلًا.. فكلها احتياجاتٌ بشريةٌ بغض النظر عن تقييمنا لأهميتها.

٤) يُقال إن إبقاء الحاجات البشرية غير مُشبعةٍ لفترةٍ طويلةٍ يؤدي للتوتر الذي قد يصل إلى درجة الآلام النفسية المُبرحة.

يا ترى ينطبق ذلك على الحرمان من الطعام والنوم؟ بالتأكيد وبلا أدنى تفكير ينطبق..

لكن ماذا عن الحاجة لتقدير الذات أو الحب أو الاستمتاع بالفنون؟ أسئلة كثيرة تظل في حاجةٍ للتفكير.. فكل واحد له سلم أولويات قد يختلف عن الآخرين..

وببساطةٍ فإن الفارق بين مجتمعاتٍ تحتفي بالفن والجمال عمومًا، وبين مجتمعاتٍ أخرى تنبذه، يكمن في موقع الإنسان في كل مجتمعٍ منهما على سلم الاحتياجات البشرية..

هل هو قد لبى الاحتياجات الأولية وبالتالي يُطالب بالاحتياجات التالية مثل تذوق الفن أو الابتكار؟ أم أنه لا يزال عالقًا في فكرة تدبير "اللقمة" ومكان المبيت؟

وربما الحاجة للابتكار تلك.. هي التي خلقت التاريخ الفني للبشرية، فالنحت والرسم والموسيقى والأدب والرقص وغيرها، ما هي سوى وسائل يُعبر بها الإنسان عن ذاته وتساؤلاته وآلامه..

t.me/qurssan

ولم يكتف البشر بذلك، فعلى مرّ العصور كانت هناك محاولاتٌ "لجمع" و"دمج" أنواع الفنون المُختلفة في نسقٍ واحدٍ رغبة في الوصول لنوع من "الكمال الفني"..
فالمسرحُ والسينما ما هما إلا تجسيدٌ لهذه الفكرة التي شغلت بال الإنسان!
ألا وهي "دمج الفنون لصناعة فن جديد"!
ولذلك فإن الإنسان لا يحتاجُ للفن فقط من أجل التسلية أو الترويح عن النفس، بل أيضًا لخلق جمالٍ جديدٍ يُضاف لجمال الكون ذاته.
فالفن هو وسيلة إذن لتسجيل التاريخ الإنساني بشكلٍ مرئي..
ولأنه وسيلة للتعبير عن الذات، فغياب الفن قد يعني بالتبعية عدم القدرة على التعبير، وما الميل للعنف إلا وسيلة للتنفيس عن المشاعر في ظل عدم وجود بدائل أرقى..
0) نفس الشيء يحدث عندما يحيا الإنسان في بيئةٍ تفتقر للجمال، فتصبح نظرته لذاته أقرب للدونية. فعدم تقدير الجمال يُساوي ضعف التقدير الذاتي للإنسان.
الفن أيضًا يُعلم الإنسان معنى التسامح والتعاطف البشري، بالتالي فغيابه قد يتسبب في عدم قبول الاختلاف، الذي ينتج عنه سلوكًا عدوانيًا بشكلٍ أو بآخر.
لذلك فحتى المجتمعات التي تحرّم الفنون من باب

t.me/qurssan

الاستعلاء، تبحث عن بديلٍ آخر لأنها تعرف أن الإنسان لا يُمكنه أن يعيش بشكلٍ سويٍّ دون تعبير فني وجمالي، وقتها يتم الاستعاضة عن الموسيقى والغناء بالأناشيد ذات الطابع القومي أو الديني.

ومهما تعددت "الأسباب" أو "الأغراض" التي يحتاج من أجلها الإنسان للفن وللجمال بشكلٍ عام.. كأن يصبح أكثر هدوءًا، أو رُقيًّا، أو أقل ميلًا للعنف.. فبالنسبة لي أعتقدُ أن الحاجة للجمال لا تكون بالضرورة لتحقيق هدفٍ بعينه.. فالجنس البشري يحتاجه ضمن ما يحتاجه لإعلاء قيمة "الإنسانية" في حد ذاتها.. فهو لا يكون بذلك وسيلة فقط بل "غاية" أيضًا..

فالإبداعُ هو صفة الخالق ومنهجُه والذي أوصى بها مخلوقاته.. وخلق الإنسان للإبداع يعني السير على نفس خُطى الخالق..

فقد جُبل بني آدم بطبيعته على حب الجمال..

وما اعتياد البعض على رؤية القُبح بغير أن يصيبهم إجفالٌ سوى استثناء من هذه القاعدة.

t.me/qurssan

(١٢)
لماذا يجب أن نتعاطف مع الغانيات؟!

بعد العرضِ الأول لمسلسل "أفراح القبة" منذ سنواتٍ قليلةٍ فائتةٍ، وعلى الرغم من القيمة الفنية الكبيرة لهذا المسلسل المأخوذ عن قصة لنجيب محفوظ، فإن التعليقات التي انتشرت وقتها على مواقع التواصل الاجتماعي كانت فحواها أن صناع المسلسلات "يريدوننا" أن نظن أنه من العادي أن تخون المرأة زوجها وأن نتعاطف مع المنحرفات".

وما أثار دهشتي هو أن بعضنا ما زال يعتبر الفن وسيلة للتربية ونشر القيم بطريقةٍ مباشرةٍ كما تفعل المناهج الدراسية، وهو الأمرُ البعيدُ كل البعد عن هدف الفن، وبالمناسبة فحتى المناهج الدراسية لا يفترض لها أيضًا أن تكون مباشرةً، لكن هكذا وجدنا آباءنا!

والفن بالفعل يُعتبر وسيلة للارتقاء بالنفس البشرية، لكن عادة ما يتم ذلك من خلال عمليةٍ أكثر تعقيدًا من مجرد الوعظ، ومن الصعب تلخيصها في كلماتٍ قليلةٍ..

لكن لو اضطررت لذلك سأقول فقط جملةً واحدةً وهي:

"أن الفن يجعلنا أكثر إنسانية".

سيطرت عليَّ هذه الأفكار أثناء متابعتي للتعليقات، وللمسلسل نفسه عندما شاهدته بعد مرور بعض الوقت على عرضه، فهو كعملٍ فني يمكن اعتباره طفرة في

t.me/qurssan

الدراما التلفزيونية المصرية لأسباب تبدأ بالرواية البديعة، والإخراج الفني رفيع المستوى الذي قدَّمه المخرج محمد ياسين لعمل لا تعرف معه إذا كنت أمام مسرحية أم فيلم أم مجرد مسلسل، أم الكل معًا..

ووصولًا للملابس والديكور والموسيقى والتمثيل و"كله"، والأهم هي الشخصيات الدرامية التي تم رسمها بطريقةٍ إنسانيةٍ، بعيدًا عن الخير أو الشر المُطلق.

فعائلة "عبده" التي نالت لعنات الجميع بسبب دناءة أفعال أفرادها، قد يجد بعضنا تصرفاتهم شيطانية بحتة، لكن إتقان رسم الشخصيات ومعرفة دوافعها وإجادة الممثلين تأدية الأدوار أتاحت لنا فرصة أكبر للفهم.

أقول للفهم وليس بالضرورة التعاطف حتى لا يُسارع البعض بإلقاء الاتهام الجاهز "إنتوا عايزينا نتعاطف مع سنية عبده؟ نتعاطف مع الغانيات كمان؟".

ولكن بصراحة.. ما العيب في التعاطف؟

التعاطف حلو وكله مميزات..

والتعاطف هو النتيجة الطبيعية للفهم..

وكلاهما يُفيدنا شخصيًّا ويثرينا على الجانب الإنساني.

ومنذ سنواتٍ كثيرةٍ شغلتني فكرة تقديم بائعات الهوى في الدراما، صورة نمطية غير واقعيةٍ إلا في أعمال نادرة، فعادة ما يتم تقديم هذه الشخصية كامرأةٍ خطرة تغوي وتدمر المجتمع، ويتناسى الجميع أنها ضحية للفقر، فبيع

t.me/qurssan

الجسد هو ظلمٌ واقعٌ عليها يدعو للعطف أكثر من كونه جريمةً ترتكبها، وإن كان هناك مجرمٌ فهو المشتري المُستغل للوضع القائم.

وكي لا يُفهم كلامي على أنني أختزل المسلسل في نموذج "سنية عبده" المثير للشفقة، أقول إن المسلسل قد جسد عددًا من الشخصيات الأخرى التي قد لا نتفق معها بالضرورة لكنه قدَّمها بطريقةٍ إنسانيةٍ تدعونا أن نُغير زاوية الرؤية الضيقة التي نرى من خلالها البشر، على الأقل لنفهم خلفياتهم ودوافعهم ولو بدرجةٍ ما.

والمسلسل يمكن وصفه بشكلٍ عام بأنه مسلسل جريء على المستوى الفني، فهو يُقدم مسرحية بداخله، والبطولة لخشبة المسرح، والممثلون مجرد أدوات لم يتم حتى ذكر أسمائهم سوى في تتر النهاية، والمسرح صورة مُصغرة للعالم، وعالم المسلسل هو القاهرة في أعقاب هزيمة ١٩٦٧، والأبطال مهزومون، والمسرحية منسوجة بواقع الأبطال، أو هي فعلًا واقعهم، والحلقة الأولى تلقي للمشاهد بشخصياتٍ ثرية وتضعه فورًا في قلب الحدث بلا مقدمات..

فهناك نص مسرحي يجب تمثيله بينما الجميع ساخطون ونحن لا نعرف لماذا.. وتصرفات الأبطال غير منطقية.. حتى يتضح منطق كل واحد فيهم بمرور الوقت وتراكم الأحداث، لتكتمل الشخصيات والدوافع لكن بشكل غير خطي وغير مباشر، بل هو أقرب للدوائر.

t.me/qurssan

فالحدث يُعيد نفسه، والصورة تكتمل لكن مثل الأحجية التي يلعبها الأطفال، مع ترك بعض الألغاز غامضة حتى النهاية، وهي الطريقة التي قد تعبتنا كمشاهدين خاصة أننا قد اعتدنا على توصيل المعلومة لنا بالصورة والكلام والإعادة والتكرارا وهنا المسلسل قد كسر النمط مرتين، مرة بشخصياته التي تثير التفكير فيها، ومرة بشكله الفني الفريد.

ولأن المسرحية تحكي واقع الأبطال، ولأنه لا يوجد تعريفٌ واحدٌ للواقع، فحقيقة الأحداث غير معروفةٍ، فليس هناك "يقين"، بل الشك هو الأقرب للحقيقة، والقصة تختلف باختلاف الراوي، وهو الأسلوب المُتبع في الرواية الأصلية لنجيب محفوظ. وهو أسلوب أيضًا تم اتباعه في أفلامٍ عديدةٍ من أهمها الفيلم الياباني الشهير Rashomon.

حيث اعتمد المسلسلُ على إعادة نفس المشهد في أكثر من حلقةٍ لكن برؤية مختلفة، أو من نقطة بداية مغايرة، تعطينا في كل مرة "حتة زيادة" من الحدوتة، وهو بذلك يقترب أيضًا من الفيلم الإنجليزي Atonment، وهي المرة الأولى التي أرى فيها أسلوبًا كهذا في مسلسل مصري، ومن هنا تنبع الجرأة الفنية.

فمشهد وصول تحية عبده (منى زكي) لمنزل عباس كرم (محمد الشرنوبي) بصحبة طارق رمضان (إياد نصار) قد

t.me/qurssan

أعيد أكثر من مرة، مرة نرى الانكسار في عيني تحية، ومرة أخرى نرى اللهو.

مرة يُروى لنا من وجهة نظر عباس، والأخرى من وجهة نظر تحية نفسها، وشتان بين المرتين في الأداء وتعبيرات الوجه، رغم أن الحوار ثابتٌ لم يتغير حرفٌ منه ومنطوق الكلام واحدٌ لكن الشعور مختلف.

فطريقة السرد المتمثلة في اللعب بالزمن هي تكنيك شكلي مُختلف، لكنها متناسقة مع المضمون المقدم في الرواية، وهو أمرٌ يُحسب لصناع المسلسل أيضًا.

وعلى كل حال فالمسلسل رغم بعض عيوب الحلقات الأخيرة، يُعتبر تجربة جديدة وفريدة لأنه لعب بمشاعرنا وأفكارنا لعبة أرهقتنا، لكنها بالتأكيد علمتنا التريث قبل إصدار الأحكام.

t.me/qurssan

(١٣)
This is Egypt يا عبلة!

١) انتشر منذ فترةٍ "فيديو" تم تصويرُه للترويج للأماكن السياحية في مصر وعُرف باسم This is Egypt على موقع يوتيوب ومواقع التواصل الاجتماعي، وتبع ذلك عددٌ من الفيديوهات التي تسير على نفس المنهج في تصوير الأماكن الجميلة في مصر.

أثار ذلك الفيديو، هو وكل الفيديوهات الأخرى الشبيهة، جدلًا بين جمهور الشباب المصري مثله مثل أي حدث حقيقي أو افتراضي، مهم أو تافه، يحدث على أرض المحروسة..

وهو ما يحدث في أنحاء العالم المختلفة بصراحةٍ شديدةٍ أيضًا منذ ظهور الفيسبوك ووسائل التواصل بشكلٍ عام، كي لا نتحيز ضد أنفسنا وننعت الشباب المصري بالتفاهة وحب "الزيطة".

المهم أن البعض قد سارع وهلل للفيديو ومحتواه واحتياج المجتمع لمثل هذه النظرة الإيجابية و"ليه مش شايفين غير الوحِش والسيئ والقبيح في بلدكم يا مصريين؟".. إلخ إلخ..

وأعقبت ذلك موجةٌ من "البوستات" المليئة بصورٍ رائعةٍ لشوارع مصر خاصة مصر الفاطمية والقاهرة القديمة

t.me/qurssan

وقصائد غزل للصور، وهي جميلة جدًّا فعلًا لا أنكر ذلك، بل أتعجب فقط كيف تم التقاط هذه الصور بدون إنسانٍ واحدٍ يسير في تلك الشوارع التي تلمع من النظافة، فحتى لو كان من قام بالتصوير مشكورًا قد اختار الصباح الباكر لالتقاط الصور لم تكن أبدًا لتظهر بهذا الشكل، فمصر وأهلها لا ينامون ولا ليل ولا نهار!
أم أن الأمر كله مجرد "فوتوشوب"؟

٢) وعلى ذكر "الفوتوشوب" الذي اجتاح حياتنا في كل شيء "مجتش على الصورة دي يعني"، من المهم أن نعرف أن البعض قد يرى أن استخدام هذه المؤثرات البصرية لتحسين الصورة أمرٌ لا غبار عليه خاصة إذا كنا نخاطب السائح الأجنبي، بالتالي يجب كأي صانع إعلان أن يُضيف الرتوش التي "تحلي البضاعة" في عين الزبون.
وما يُريح ضمائرنا في هذا المجال أن الأصل صحيح وليس به كذب، يعني مش مهم الرتوش المهم الحشو، والقالب غالب، يعني الشارع والجامع والمباني الأثرية حقيقة لم يتم تزييفها، يعني مجرد رتوش، اللي هو إيه، أنا لا أكذب ولكني أتجمل.. أتجمل فقط والله..
المشكلة أن الصور بهذا الشكل تُثير مشكلتين: الأولى داخلية والثانية خارجية، وطبعًا خلينا في الداخلي الأول..
فعلى الصعيد الداخلي، فإن الكثير من المواطنين الذين يستميتون من أجل الفرحة أو من أجل "لملمة"

t.me/qurssan

الكرامة المبعثرة من جراء ما نعيشه من تردٍّ على جميع المستويات، يجدون في هذه الصور فرصة للتهليل بدون وجه حق وللنوستالجيا وللهروب من جَلد الذات، الذي يُعتبر بالمناسبة أقل واجب لمجتمع وصل لما وصلنا له من انحطاط في الكثير من الأمورِ المعروفة للجميع، والتي لا داعي لذكرها الآن..

وبالتالي يصبح من ينادي بتحسين الأوضاع بمثابة شخصٍ سوداوي يُصيبنا بالإحباط..

أما المشكلة الخارجية فتكمن في أن "الأجانب" عندما يأتون للزيارة سيُصابون بالصدمة والإحباط لا محالة، وربما لن يُعيدوا الكرَّة أو يُعاودوا الزيارة لأنه قد تم التلاعب بهم.

٣) بعد انتشار موجة الصور الجميلة عن مصر سواء حقيقية أم ملعوبًا فيها، سارع فريقٌ آخر على الفيسبوك في استخدام نفس العنوان #this is egypt كهشتاج حيث قاموا بوضعه على صور تُجسد السلبيات المنتشرة في المجتمع والشارع المصري عمومًا بأنواعها المختلفة، وفورًا وكالعادة تمت مهاجمتهم من محبي الإيجابية الذين يرون أن مثل هؤلاء يُوزعون الطاقة السلبية في كل مكانٍ ويُسيئون لسمعة مصر إلى آخر قائمة الاتهامات.

وعلى رأس الاتهامات أن هؤلاء، ناشري الطاقة السلبية والهاشتاجات السوداوية، مرفهون لا يعرفون شيئًا عن

t.me/qurssan

معاناة العاملين بالسياحة بسبب غياب السياح مؤخرًا بشكلٍ غير مسبوقٍ عن مصر، وأنهم بنقدهم المستمر يُصيبون السياحة في مقتل.

الفكرة أن مشكلة السياحة أو مصيبتها لن تُحل مطلقًا بمثل هذه الطرق التي نضحك بها على أنفسنا قبل أن نُضحِّك علينا الآخرين.

فإذا افترضنا أنك كإنسانٍ مصري لك أخوات بنات في الإنسانية من جنسياتٍ أخرى.. بأمانةٍ شديدةٍ جدًّا هل ستنصحهن بزيارة مصر الآن؟..

لا أتكلم عن الأمان ولا توافر السلع الغذائية للسياح ولا السيارات الليموزين لمن يملك ثمن تأجيرها.. فكل ذلك مُتاح، لكنني أتحدث عن الزحام والتحرش، والتلوث، والمرافق المنهارة، والشوارع التي لا يمكن السير فيها بعد بضع دقائق فقط من هطول الأمطار.

٤) بالنسبة لي أنا.. إن حدث وعرفت أن أصدقاء أجانب قد قرروا القدوم لزيارة مصر، فلن أشوه صورة بلدي في أعينهم، بل سأقول مرحبًا وألف أهلًا وسهلًا وسأخبرهم أن مصر بلد "عظيمة"، وسأرشدهم إلى الأماكن الجميلة ليقوموا بزيارتها، وسأدعو الله في سري أن "يسترها معاهم"..

لكن إن لم تأتِ المبادرة منهم فلن أبادر بدعوتهم، لن أشجعهم على القدوم، بالضبط مثلما أفعل مع صديقاتي

t.me/qurssan

عند رغبتهن في زيارتي في يوم سيئ أعرف أن منزلي فيه مكان غير مُريح أو على الأقل غير مُبهج بالنسبة لهن، كأن تكون المياه منقطعة والتراب يملأ أركان منزلي والكراسي كلها مخلعة والشبابيك مكسورة..

لن أطردهم إذا فاجأوني بالقدوم لكنني بالطبع لن أتطوع بدعوتهم، لن أشتم في منزلي وألعنه، بل سأعترف فقط بما فيه من عيوب، وطبقًا سأعمل جاهدة على إصلاحها.

أما إذا تكلمنا عن السياحة كمصدرٍ للدخل، فهل يُعقل أن نبذل أموالًا مثلًا من أجل حملاتٍ دعائيةٍ من أجل جذب مجموعة سائحين يأتون بطوعهم، لكن ربما بعد التجربة لن يكرروا هذه الزيارة أو ينصحوا أحدًا بها من هول ما يرونه؟

ما أقصده هنا أن هذه السياحة مثلها مثل أي نشاط اقتصادي أو إنساني، هي نشاط متكرر يجب أن يظل مستمرًا حتى يُمكننا أن نصفه بـ"المزدهر" وأنه قد تم تنشيطه بنجاح!

فهل يمكننا ادِّعاء ذلك إذا ما ازدادت أعداد الأفواج التي تأتي لمصر في إحدى السنوات ثم تدهورت في العام التالي بسبب سوء الخبرة التي حصل عليها السائحون من جراء الزيارة الفعلية؟

t.me/qurssan

5) بالعودة للفيديو المُبهج الذي أثار كل هذا الجدال، فقد رأيته عدة مرات واستعذت بالله من الشيطان كثيرًا ربما أستطيع وقتها أن أبتهج أو تدمع عيناي من النشوى مثلما حدث للكثيرين بعد مشاهدة الفيديو، لكنني في كل مرة كنتُ أستشيط غضبًا أكثر من المرة السابقة، فالأماكن جميلة والفيديو كله انطلاق، لكن ما نسبة الحقيقة إلى الخداع في هذا الفيديو القصير؟

دعونا نتفق أن بمصر مناطق خلابة بالفعل، رأيت منها الكثير وسيراها مثلي كل من يأتي للزيارة، لكن هل بها مثل هؤلاء الشباب والبنات الفرحين المبتهجين مثلما في الفيديو؟

هل هناك من ترتدي مثل هذه الثياب في الشوارع المصرية؟ هل لدى الفتاة المصرية العادية وقت وجرأة لوضع طلاء الأظافر الجميل مثل تلك الفتاة في الفيديو؟ هل النساء الريفيات أو البسيطات يرتدين مثل هذه الثياب المزركشة الجميلة التي تنتمي للثقافة المصرية، والتي تختلف عن الأشكال الأخرى من الثياب القاتمة الدخيلة علينا، والتي نراها في الشوارع الآن؟

هل ذوق الشابات والشباب العاديين في الثياب أصلًا ذوق جميل؟ هل يرتدون الملابس المنسقة ويمشون بنظام ويعتذرون إذا ما "خبطوا" في كتف أي إنسان مسالم عن طريق الخطأ؟

t.me/qurssan

مصر، مثلما أسعد أنا وغيري من المصريين إن سنحت لنا الفرصة وتمشينا في شوارع لندن وباريس أو أي عاصمة من عواصم العالم المتحضر جدًّا، أو حتى المتحضر شوية صغيرين..

و(مطمئنين) هنا لا تعني آمنين على أنفسهم من القتل والسرقة فقط، فالخير في المصريين إلى يوم الدين بإذن الله، ولكن (مطمئنين) بمعنى أنهم لن يتعرضوا لأية مضايقات حتى لو إحنا كمصريين شايفينها "عادية" كالزبالة والبالوعات والرصيف المنعدم والفهلوة والاستظراف والتحرش واختفاء المساحات الشخصية بين البشر.

فهل هذا الحلم بعيد المنال؟ أظنه سيتحقق لمَّا الأول المصريين يقدروا يمشوا في شوارع مصر مطمئنين ومبسوطين! يا رب.

t.me/qurssan

(١٤)
أهو كله برتقـال!

يُضحكني سعيد صالح كثيرًا عندما يرسم خطة ضد والده "كبير العيلة".. يحدثه تلفونيًّا ويتعمد أن يخطئ في اسمه، ليجعله رمضان "أبو سرة" بدلًا من "السكري"..

يعترض الأب لكن منطق الابن يظل هو الأقوى، فما دام كله برتقال، فما الفارق؟!

تعلو ضحكات ابنتي.. ألتفتُ إليها وأحثها على النهوض للمذاكرة.. "اللي ياكل على ضرسه ينفع نفسه".. تقوم هي متثاقلة، بينما أمسك أنا بجريدة قديمة لم أقرأها حتى الآن..

فأرى صورة بدون رأس لتمثال "عبد المنعم رياض"، ففي أثناء نقل التمثال.. وقع "عبد المنعم" زرع بصل لينفصل رأسه عن جسده في الحال!!

أضع الجريدة بلا اكتراثٍ، وأحاول أن أضع نفسي مكان الشخص المسئول عن عملية النقل، لألتمس له بعض العذر.. هذه هي الإمكانات المتاحة!

أقلب صفحات الجريدة الكئيبة في يأسٍ وصوت سعيد صالح لا يزال يرن في أذنيَّ..

في الصفحة التالية أجد صورة كبيرة للملك توت عنخ آمون.. هل فاز الملك في أحد برامج المسابقات؟

أقرأ بلا صوتٍ.. الصورة ضمن حملة لنقد السلبيات المتعلقة

t.me/qurssan

بإهمال التراث على مرّ السنوات!

فمنذ سنوات قريبة وقعت حادثة أكثر طرافة من حادثة "تمثال عبد المنعم" وأكثر بؤسًا وأقل قابلية للتصديق!

فقد تم تشويه قناع الملك "توت"، لكن إحقاقًا للحق فقد تم بنية سليمة وصافية كاللبن الحليب، بيد أشخاص مسئولين عن صيانته.

أضع الجريدة بلا اكتراثٍ، وأحاول أن أضع نفسي مجددًا مكان الشخص المسئول عن الصيانة وهو يفكر في معضلته، فربما ألتمس له هو الآخر بعض العذر.. هذه هي الإمكانات المتاحة!!

ذقن الباشا "انخلعت".. ماذا سأفعل وأنا الضعيف الغلبان؟ هل سأستعين بالخواجة؟ ولكن ماذا سيفعل الخواجة أكثر مما سأفعله؟ نعم أنا غلبان جدًّا لكني لا أخلو من ذكاء وفهلوة..

ما نكسره في منازلنا حله "أنبوبة الأمير" أو "الأوهو"..

هو لم يخطئ فقد جاء بلاصقٍ أقوى منهما لتلصيم ذقن الباشا.. سأحاول أن أتذكر اسم هذا اللاصق العجيب لأشتريه في المرة القادمة وأحتفظ به في درج المطبخ.. "إيبوكسي".

عمومًا تقول الجريدة إن ذلك القناع لم يكن هو القناع الأصلي فلا داعي للفزع.. القناع الأصلي سُرق ولم يُستدل عليه!

t.me/qurssan

الحمد لله.. فلنهدأ الآن ولا داعي للانزعاج..

أذهبُ لأساعد ابنتي في دروسها وأقرأ معها.. "ازدهار السياحة في مصر يرجع لسهولة المواصلات، وبشاشة المواطنين، فضلًا عن عادات وتقاليد المصريين"..

أبتسم ابتسامةً واسعةً وأحرضها بقلب ميت على ترك الكتاب والذهاب لفتح التلفزيون..

في التلفزيون أشاهد برنامجًا يدعو للفضيلة، في سبيله لذلك يقوم بتصوير مواطنين بدون ملابسهم وفضحهم لتعليمهم الأدب.. على قناة أخرى يتم إخراج الجن من البني آدميين أمام الكاميرات كما الشَّعرة من العجين.. ويا للعجب تصبح المذيعة من أكثر الشخصيات شعبية.. لماذا؟ الإجابة سهلة.. تحافظ على تقاليد المجتمع.. وما دام الأمر كذلك فلا داعي للانزعاج.

يرن الجرسُ وتدخل صديقتي العائدة من دولةٍ أوروبية، تميل عليَّ في سعادة لتريني دليل صيانة سيارتها الجديدة.. تقلب صفحاته وتقرأ تعليمات "صيانة الطرق العادية"، في الصفحة المقابلة أقرأ "الصيانة في الظروف الاستثنائية"..

أشير لها كي تنظر للصفحة الثانية، أمر بديهي بالنسبة لي..

تأبى صديقتي، فقد أقنعها مهندس الصيانة أنها لا تحتاج سوى الصفحة الأولى، ففي مصر الطرق ممهدة.. لا صحراء ولا رمال تنهك سيارتها.

أتعجب وأبتسم لنفسي وأتحدث لكن بلا صوت..

t.me/qurssan

"هنا يا عزيزتي لا أخشى على السيارة ولا أقلق عليكِ من مخالفة أو رادار.. بالنسبة لي كل ما أخشاه حادث يقودك إلى مستشفى فيقتلك الطبيب بحسن نية".

أفكر في مصير ابنتي التي تفتح الكتاب للمرة الأولى ليلة الامتحان، وأشفق على صديقتي التي لا تعرف ما ينتظرها في مصر من مفاجآت.. أتنفس بعمق وأفكر في صمت..

"لاداعي للقلق، ففي الإعدادية يساعدون الأولاد على الإجابة في الامتحان لتبييض وجه الإدارة التعليمية، وفي الشوارع المكتظة يحرصون على وضع حزام الأمان كما في أوروبا والدول الإسكندنافية... أما على الطرق السريعة فيضعون المطبات والثغرات لمنع المواطنين الشرفاء من الاندفاع بالسيارات!"..

هكذا قلتُ لنفسي وابتسمتُ.. إذن الأمر بسيط ولا داعي للانزعاج.

تحاول ابنتي تغيير القناة بلا طائل.. أرمقها بنظرة غيظ وأجذب الريموت، لا أستطيع تغيير المحطة ويا للخجل.. أخبط الريموت بشدة في ساقي بلا جدوى سوى تعب نفسيتي وألم في ركبتي..

أفتح بطنه وأخرج البطارية لأتعامل معها كما تستحق.. "ببعض العضات السريعة المتتالية".. فهذه هي الإمكانات المتاحة!!

لا يعمل الريموت فأتركه.. وأمري ألى الله.. يمكن بكره يتصلح ويجيب قناة "موجة كوميدي" من تلقاء نفسه..

t.me/qurssan

ترحل صديقتي سعيدة بسيارتها الجديدة، وتنام ابنتي ممتنة لتخلصها من قراءة الدرس السخيف..

أيأس من كل شيء فأنام وفي ذهني الملك توت.. كبير العيلة.. حليق الذقن بلا ذنب.. يبتسم لي ابتسامته المرعبة في هدوء.

في الصباح تحدث المعجزة.. أستيقظ على صوت سعيد صالح يملأ البيت "آهو كله برتقال".. تعلو ضحكات المشاهدين..

أنهض من الفراش وأبتسم لنفسي في صمتٍ... ما دام كله برتقال، فلا داعي أبدًا للانزعاج .

t.me/qurssan

(١٥)
كسر المُعتاد مع إسعاد!

بعيدًا عن برامج الأسرار وكشف المستور والصناديق السوداء، وبعيدًا أيضًا عن برامج الفن التي تصنع من أي عابر سبيل بطلًا خارقًا، جاءت هي لتفرد خارج السرب وتطل علينا بضيوف فوق العادة.. ليسوا بالضرورة نجومًا بالمعنى "المبتذل" للكلمة، لكنهم نجوم بشكلٍ مختلفٍ.

دائما ما أستمتع بمشاهدة برنامجها الأسبوعي، وهي أيضًا، مثلها مثل ضيوفها، نجمة لامعة بحضورها وأناقتها والأهم معرفتها بأصول الضيافة.. مثقفة وفنانة تضيف من ذكرياتها لتثري الحوار أحيانًا لكن ليس على حساب الضيف ولا من أجل الاستئثار بالضوء.

لا يمكن أن نقول إنه برنامج فني خالص، ولا هو برنامج اجتماعي، هو مزيجٌ من كل شيء، والشيء المؤكد أنه "مصري" للغاية.

الفنانة الكوميدية التي بدأت من الإذاعة، وانتقلت للفن، أمتعتنا كممثلةٍ في أعمالٍ كوميديةٍ بدون "فذلكة"، وأمتعتنا ككاتبة جادة وساخرة في عددٍ من الصحف المصرية، وقبلها بسنواتٍ على صفحات مجلة الشباب. كنت أنتظر كغيري المجلة كل أسبوع لأقرأ مقالها التي تستعرض فيه المجتمع وعجائبه بعيون ابنتها، قبل أن تجمع مقالاتها في كتابها الساخر "مذكرات نورا المذعورة"!

t.me/qurssan

وفي تحفتها غير المُتكلفة "بكيزة وزغلول" أمتعتنا بحوار ممتع وشخصيات صادقة، وأداء كوميدي بسيط وتلقائي في عمل يظل- رغم السنوات- خارج المنافسة.

اختارت بعدها أن تطل على الأعمال الفنية من نافذة الإنتاج، بعيدًا عن أدائها التمثيلي الذي افتقدناه للغاية، وبعيدًا أيضا عن كونها كاتبة متميزة.

ومنذ عدة سنوات، عوضت جمهورها بطلتها التلفزيونية المبهجة مستعينة بفريق إعداد وإخراج فوق العادة أيضًا.. يظهر إبداعه وتجديده من خلال المضمون المقدم في البرنامج.. بل ويظهر معها على الطاولة بعض أفراده أحيانًا تناقشهم ويناقشونها أمام الكاميرات لا خلفها كما هو مُعتاد.

ونتيجة للمجهود الإبداعي المُشترك للفنانة صاحبة الحضور الجميل مع فريق العمل المُبدع، خرج البرنامج كقطعة فنية غير مزيفة بداية من التترات وحتى نهايته.

أصبح على مر السنوات البرنامج المفضل لقطاع كبيرٍ من الجمهور، فهو بمثابة واحة هادئة وسط صخب الحياة في مصر ووسط الضجيج المزعج في كافة مناحي الحياة.

في تناولها للفن تجعل "الموضوع" هو البطل الذي تسلط عليه الأضواء، بعيداً عن اختزال القضية في شخص بعينه مهما كانت نجوميته.

أمتعتنا بحلقةٍ عن حي شبرا.. استضافت خلالها عددًا من النجوم، لكن يظل الموضوع هو البطل..

t.me/qurssan

أمتعتنا بحلقاتٍ عديدةٍ عن حياة الأرمن في مصر، وعن الغناء الشعبي، وعن الفرق الموسيقية المصرية التي لمعت ثم اختفت من الساحة، وعن صانعي الموسيقى التصويرية، وخبراء المفرقعات السينمائية، وحتى نجوم المأكولات الشعبية!

وفي حلقةٍ رائعةٍ عن "الكومبارس" الذين نحبهم ولا نعرف أسماءهم، قدمت لنا نجومًا منسيين لكنهم لامعون للغاية، كنت أتمنى أن يطول العمر بالفنان "يوسف عيد" ليلتقي بها، فبالتأكيد كان سيصبح لقاؤهما متعة خالصة.

أما في الحلقات التي استضافت فيها نجمًا واحدًا، مثل حلقة الفنان الراحل "حسن مصطفى"، والتي كانت من أجمل الحلقات بالمناسبة، فقد قدَّمت مشوار الفنان القدير من زاويةٍ جديدةٍ لم نرها من قبل، ومع ذلك فقد كانت بمثابة رحلة ممتعة في كواليس المسرح المصري بشكل عام..

فيظل الموضوع هو البطل..

وهو الطرح المُخالف لما اعتاد عليه الجمهور، وما يُفضله الإعلام المصري في العموم، وهو خير دليلٍ على خطأ نظرية اتباع النموذج التقليدي الذي لا يتغير، بحجة أن "الجمهور عاوز كده"!

t.me/qurssan

(١٦)
اللمبي.. كلاكيت أول وعاشر مرة!

محمد سعد.. العيد.. فيلم جديد.. كلمات عادة ما ترتبط ببعضها البعض لتُشكل جملةً واحدةً مفيدةً..

ما يجعلها تترابط معًا هو حقيقة أن موسم الأعياد بشكلٍ عام موسم مناسب جدًّا للضحك والكوميديا خاصة لو تزامن مع فصل الصيف بحرارته والرغبة الفطرية للبشر في التخفيف عن النفس بضحكةٍ لطيفةٍ وغير مُرهقةٍ للذهن.. إذا أضفنا لذلك أن بعض جمهور الكوميديا ما زال على ولائه للنجم محمد سعد رغم تكراره لشخصية الغبي الساذج التي يؤديها مرة بعد الأخرى، فالجملة نفسها ستظل تتردد لأعوام.

الشخصية الساذجة المتكررة بجنون، ما زال بعض الجمهور يغفرها لمحمد سعد بل ربما يحبه البعض لذلك، فكما قدَّم أسطورة الكوميديا إسماعيل ياسين نفس الشخصية "بأسماء مختلفة" في عشرات الأفلام، فربما أراد "سعد" أن يسير على نفس الدرب.. أو ربما جاء الأمر معه كمجرد مصادفة.

محمد سعد فنانٌ تقريبًا، يعلم الجميع حجم موهبته التي لم يستغل سوى جزء بسيط منها حتى الآن، ومع تقديمه لشخصية اللمبي للمرة الأولى انفتحت له طاقة القدر بلا مُقدمات.. شخصية المعتوه أو البلطجي الغبي والتي

t.me/qurssan

أداها في فيلم الناظر عام ٢٠٠٠، ثم بلورها لتحمل على عاتقها بطولة فيلم كامل بنفس الاسم بعدها بعامين، الغبي الذي يتعاطف معه الجمهور لأنه يُشعرهم بأن هناك في الدنيا من يتفوق عليهم في قلة الحظ وخيبة الأمل.. فيضحكون شفقة عليه وعلى أنفسهم ولسان حالهم يقول "يا عيني"!

شخصية نحتاج فعليًّا أن نراها كمصريين على شاشة السينما في مصر، لتواسينا عن فشلنا المتواصل، وربما هذا هو سر نجاحها.

أحببتُ جدًّا فيلم اللمبي لسعد وعبلة كامل وحلا شيحة ٢٠٠٢، هو أجمل أعماله من وجهة نظري، فيلم بسيط عن مواطن بسيط، فيلم للضحك بدون فذلكة ولا ادِّعاء لمضمونٍ عميقٍ بين السطور، والحقيقة أن ما بين سطور هذا الفيلم كان في حاجةٍ لدراسة وتحليل.

فحياة اللمبي ومحاولاته العشوائية هي ملخص لحياتنا في مصر، لا رؤية ولا تخطيط ولا يحزنون.

اللمبي "الفيلم" انتهى نهاية سعيدة حيث أنقذت "فلوس النقوط" بطلنا وأخرجته من مأزقه، لكن لو قدر للمشاهدين الاستمرار في متابعة حياته بعد نزول تترات النهاية، كنا سنجدها بالتأكيد قد عادت "للـكعبلة" المُعتادة مرة أخرى، فالمقدمات حتمًا تقود للنتائج، ولا توجد معجزات على الأرض!

أثبت وقتها "سعد" أنه ملك "كوميديا الفَازس" بجدارةٍ،

t.me/qurssan

فالضحك الصاخب لعبته، والأداء الجسدي الصعب سواء في الحركة والرقص أو تعبيرات الوجه والتلاعب بالصوت هو أمرٌ يُجيده ببراعة.. والأهم أنه يُعجب الجمهور وبالأخص الأطفال، الذين عادة ما ينجذبون لهذا النوع من الأداء المبالغ فيه..

هذا الأداء المبالغ فيه هو نوع من الفن أيضًا، موجود في كل العالم ولا علاقة له بالابتذال أو غيره، فهو نوع فني له جمهور يفضله وبالتأكيد هناك من لا يفضلونه كأي نوعٍ آخر من الفنون.

ومع ذلك كنتُ أتمنى أن ينطلق "سعد" لآفاق أرحب، ولا يقع في فخ الاستسهال..

قدَّم بعد انطلاقته في اللمبي عددًا كبيرًا من الأفلام.. تتغير أسماء البطل لكن السمات العامة لشخصيته لا تتغير..

اللمبي، عوكل، بوحة، كتكوت، كركر، بوشكاش، تتح.. تنوعات مختلفة للشخصية ذات الإمكانات الذهنية والمادية الضعيفة.

لم أجرِ استطلاعًا للرأي بين الجمهور حول تقييمهم لأعماله، لكن شباك التذاكر لم يحرمه من تقييمات تتراوح بين "مكسَّر الدنيا" وصولًا "لفيلم ناجح" أو "إيراداته معقولة" على أقل تقدير.

تزامن ذلك مع غضبٍ دائمٍ مُتصاعد من جانب النقاد والمُهتمين بالسينما "الفنية"..

t.me/qurssan

الواضح أننا أمام فنانٍ بقدراتٍ كبيرةٍ وقبولٍ جماهيري يضيع جهده في الاتجاه الخاطئ ويرسخ لذلك عامًا بعد الآخر، لدرجة جعلت من الصعب جدًّا خروجه من الدائرة الملعونة التي دخلها بإرادته أو بضغط من المنتجين للحصول على الإيرادات والرضا الجماهيري..

"الدجاجة التي تبيض ذهبًا" لمحمد سعد والتي وضعته في مصاف نجوم الشباك بجدارةٍ لسنوات.. أصبح عليه أن يذبحها لأنها لن تأتي له بأي شيء سوى المزيد من الخسائر الفنية وربما الجماهيرية أيضًا"..

وتجربة فيلم "الكنز" ربما تكون البداية، لكن لكي يخرج "سعد" فعلًا من ورطته، عليه ألا يجعلها النهاية في سلسلة محاولاته التي يجب أن تتكرر وتستمر، حتى يتمكن من الخروج من عباءة اللمبي سالمًا.

t.me/qurssan

(١٧)
محمد رمضان.. أو كيف تُدافع عن المرأة بطريقةٍ ذكوريةٍ؟!

محمد رمضان في فيلمه الكوميدي "آخر ديك في مصر" هو شاب انفصل والداه ولقنه والده كُره النساء منذ نعومة أظفاره، وهي الفكرة التي اعتمد عليها صنَّاع العمل في جلب الضحكات منذ أول لحظةٍ في الفيلم، باعتمادهم على الصورة النمطية للمرأة أو بالأخص الزوجة "النكدية والزنانة"، وفي الحقيقة كانت مشاهد فعلًا لطيفة ولم تُضايقني شخصيًّا، فالطبيعي أن تُبنى الكوميديا على فكرة المبالغة.

وتقوم حبكة الفيلم على سؤالٍ هو: "ماذا سيتغير في شخصية هذا الشاب لو وجد نفسه هو المسئول الأوحد عن كل نساء العائلة؟"، وللإجابة على هذا السؤال لجأ المؤلف لحيلةٍ غير منطقية، وهي أن يُسافر البطل في رحلةٍ مع كل رجال العائلة فتنتهي حياتهم جميعًا غرقًا في مكانٍ ممتلئ بالتماسيح بينما ينجو البطل وحده، وهي المصادفة التي قد تكون مقبولة أيضًا في حد ذاتها، لكن غير المفهوم هنا هو: لماذا وافق هذا الشاب المتمرد على السفر لأسوان مع كل رجال العائلة بلا مبررٍ قوي، وهو الذي يرفض حتى حضور الزيارات العائلية البسيطة في منزل والدته، والتي قامت بدورها الفنانة "هالة صدقي".

t.me/qurssan

وخلال رحلة الفيلم يتعرف البطل على حياة النساء ومشاعرهن، ويتقرب بالفعل منهن، ويبدو وكأنه فهم الكثير عنهن، لدرجة جعلته أكثر تعاطفًا معهن تدريجيًّا، حتى يصل لنهاية الفيلم وقد تغيرت أفكاره تجاه النساء.

ومن ضمن ما غيَّر أفكاره عن النساء، معايشته لمشكلات كل النساء من حوله، وكذلك سماعه لاعترافتهن من خلال الفيلم التسجيلي القصير الذي تقوم شقيقته "إنجي وجدان" بتصويره، من أجل التقدم لمسابقة خاصة بإحدى الجمعيات النسائية، حيث تقول جدته فيه أنها ضحت بحلمها في أن تصبح مطربة بسبب حبها لجده الراحل، مما أثار مشاعر جميع من شاهد هذا الاعتراف البطولي النبيل من وجهة نظر صانعي الفيلم.

لم يقتصر الأمرُ على ترسيخ هذه الصورة النمطية المُتعلقة بكون المرأة المُضحية هي امرأة عظيمة، بل تعدى الأمر ذلك، ففي أثناء الفيلم وأثناء معايشة البطل لمشكلات ابنة خالته الشابة "ملك قورة" يقوم بزيارةٍ للجامعة التي تدرس فيها ليجدها مهددة بالفصل من الجامعة بسبب سوء سلوكها، وسوء سلوكها هذا ترجمه مخرج الفيلم في مشهدٍ يجمعها برئيس الجامعة وهي واقفة شاعرة بالخزي، وحولها ثلاثة شباب يبدو أنهم قد تشاجروا مع بعضهم بسبب الفتاة الشابة، وطبعًا المفهوم من المشهد أن الفتاة قد أغوت الفتيان الأبرياء، ورغم تهورهم والشجار العنيف الذي دار بينهم والمفترض أن

t.me/qurssan

يكونون هم مسئولين عنه، ومسئولين عن تصرفاتهم عمومًا كأشخاص ناضجين، فإن الفتاة هي التي تتحمل اللوم بأنها السبب في كل شيء، فهي وفقًا للمفهوم الشعبي الذكوري صانعة الفتنة أينما حلت، رغم أن الفيلم لم يوضح ماذا بالتحديد هو الجرم الذي ارتكبته الفتاة.

لم يقتصر الأمرُ على ذلك بل قرَّر رمضان أن "يستَّرها" أو يزوجها كي يغطي على الفضيحة، ولم يجد لها خطيبًا أفضل من صديقه اللعوب الذي قام بدوره "محمد سلام" والذي يقضي معظم أوقاته مع فتيات الليل، ولم يجد البطل غضاضة هنا في أن يُقدمه كعريسٍ مناسبٍ لابنة خالته التي لا نعرف ما هو الذنب الذي ارتكبته في الفيلم.

ليصبح الفيلم مساويًا بذلك بين الفتاة التي تسببت في مشكلة بسيطة بين شباب الجامعة المتهورين، وبين الصديق الذي يقضي أوقاته مع "طوب الأرض" من النساء!

وينتهي الفيلم بأن يعترفَ البطل بعد عرض الفيلم التسجيلي الذي سجلته شقيقته، وأمام الجميع، أن رأيه قد تغير تجاه النساء، وأنه كان مخطئًا في ظنه بهن في الماضي، وقام كذلك بشكر صديقته "مي عمر" التي وقفت بجانبه وبالتالي هي بنت جدعة والمفروض من وجهة نظره كما أخبر الجميع أن يكون اسمها "فلان أو علان" حيث ذكر عدة أسماء رجالية، إشارة إلى المفهوم المتداول في الشارع عن كونها "بنت بميت راجل"!

t.me/qurssan

على أساس أن المناداة باسم "رجالي" هو إطراء تفرح به أية فتاة.

فالفتياتُ يعتبرن تشبيههن بالرجال نوعًا من الإطراء، بينما العكس يُعتبر نوعًا من العار، وهو الأمر الذي أبرزه رمضان في معظم أعماله مثل مسلسل الأسطورة الذي هدد فيه غريمه بأن يجعله يرتدي ملابس نسائية أمام الجميع كنوعٍ من الإذلال!

في نفس الإطار قدم رمضان دور المصلح الاجتماعي في مسرحيته "أهلا رمضان" وهو البطل الذي يُغير حياة مجموعة من الأشقاء للأفضل، ورغم أن المسرحية ممتعة بصريًا، ورغم أن رمضان قد أجاد الأداء الكوميدي فيها من وجهة نظري وأضحكني كثيرًا، إلا أنه أبى أن ينهيها إلا بعد أن يقول حكمة تلخص القصة وهدفها، وهي أن المجتمع لن ينهض سوى برجاله الأقوياء ونسائه الشريفات!

فالرجلُ الصالح هو القوي المُسيطر والناجح في عمله وبهذا يكون نافعًا للمجتمع، بينما صفات المرأة التي ستنفع المجتمع مختزلة فقط في كونها امرأة شريفة بالمعنى الشعبي للشرف.

وهو يشير بذلك لمجموعة الأشقاء الذين أصلح حياتهم خلال قصة المسرحية، وهم بالمناسبة شاب مُدمن وآخر متطرف دينيا، بينما شقيقتهم الوحيدة لم تفعل شيئًا مؤذيًا تقريبًا سوى أنها كانت تُحب شابًا غير مناسبٍ يقوم باستغلالها ماديًا! فهل تستوي مشكلتها مع

t.me/qurssan

ومشكلات شقيقيها؟!

نفس الفكرة التي تُبهرني في أعمال محمد رمضان، رغم اختلاف المؤلفين والمخرجين، فهل المشكلة في رمضان نفسه وقناعاته؟ أم أنه من الذكاء أن يتعمد نقل هذا الفكر حتى لو لم يقتنع به شخصيًا، فقط لمغازلة الذوق الشعبي؟

وإن كان هذا الفكر مناسبًا لجمهور مسلسل "الأسطورة" الذي يمثل الذوق الشعبي، وهو الذوق الذي يتجلى أيضًا في الأغنيات الشعبية التي أحبها شخصيًا بالمناسبة رغم بعض المعاني السيئة التي تُروج لها، أو لنقل تنقلها كما هي بلا تنقيح من المجتمع التي تعبر عنه بصدق، إلا أن جمهور فيلم مثل "آخر ديك في مصر" من المفترض أنه جمهورٌ مختلفٌ..

مما يجعل هذا الاتجاه الظاهر بوضوح في أعمال رمضان لغزًا يستعصي على فهمي، ويحتاج لمزيد من الدراسة لأعمال رمضان القادمة.

ويبقى السؤال الأهم هنا هو: هل دور الفنان مغازلة الذوق السائد لكسب المزيد من الجماهير فقط؟ أم محاولة الإسهام في تعديل هذا الذوق لما هو نافع لحركة تطور هذا المجتمع الذي وهبه هذا النجاح؟

t.me/qurssan

(١٨)
هل المرأة كائنٌ مُقدس والرجل كائنٌ مُدنس؟!

يزداد الجدلُ في المجتمع المصري كل يوم حول القضية القديمة الحديثة والمتجددة دومًا..

"قضية المرأة"..

وهو في الواقع مصطلح غريبٌ جدًّا!

ما هي قضية المرأة؟ ولماذا قضية المرأة؟! ولماذا للمرأة فقط قضية، ولماذا لا نسمع عن قضية الرجل في المقابل؟ وقضية الطفل، وقضية الشيخ المسن؟!

وهل في القرن الواحد والعشرين ما زلنا نتحدث عن حقوق المرأة؟!

نعم ما زلنا نتحدث.. لأننا في "مصر"!

فهناك تساؤلاتٌ المفترض أنها قديمة جدًّا وعفا عليها الزمان، لكنها ما زالت مطروحة بكل أريحية لدى الرأي العام المصري..

هل صوت المرأة عورة؟ هل تصلح المرأة قاضية؟ هل تتولى المرأة في الإسلام منصب الإفتاء؟!

وتمتلئ صفحات الجرائد وساعات البث التليفزيوني وبرامج "الـتوك شو" بمثل هذا الجدال دائمًا، ونرى المدافعين عن حقوق المرأة مصرين على أن النساء مظلوماتٌ وأسيرات في المجتمع المصري، بينما الرأي الآخر مستعد بحجته الدائمة والجاهزة والثابتة دومًا والمضحكة أحيانًا، وهي أن

t.me/qurssan

التشريعات والقوانين التي صدرت في المجتمع المصري خلال السنوات الأخيرة قد (أعطت) للمرأة المصرية حقوقًا لم يسبق لها مثيل، لدرجة أنه أصبح يستوجب على الرجل البحث عن حقوقه هو أيضًا والمطالبة (بمساواته) بالمرأة!

وطبعًا سرعان ما نطرح السؤال الأشهر وهو "هل الحقوق تُعطى؟" أم أنها شيء بديهي يتمتع به صاحب الحق دون أن يُمنح له؟

وإذا كان "جوزيف ناي" الأستاذ في جامعة هارفارد والكاتب في عددٍ من الصحف الأمريكية قد أشار إلى أن القرن العشرين بكل ما فيه من تطوراتٍ على كافة الأصعدة يمكن اعتباره قرن "أمريكا" بلا منازع، فقد كانت خلاله سيدة العالم في العلم والاقتصاد والفن والسياسة والحرب أيضًا..

فإنه.. ومن كثرة ما سمعنا عن مصطلح (تمكين المرأة) في الآونة الأخيرة أصبح لدينا انطباعًا بأن القرن الحادي والعشرين سيكون قرن المرأة بلا منازع.. فهي مثلها مثل أمريكا، ستصبح سيدة العالم في كل المجالات!

أو هكذا يظن البعض!

وإذا كانت أمريكا في الحقيقة قد تسيَّدت العالم أولًا من خلال القوة الناعمة وهي قوة الإعلام والفن والثقافة.. أو صناعة التسلية.. فقوة المرأة هي أيضًا قوة مستترة من كثرة اعتياد النساء على إخفاء مقومات هذه القوة.

وعلى الرغم من ذلك، وحتى في الدول الغربية، فإن المرأة

t.me/qurssan

ما زالت غير مُنصَفة بشكلٍ كاملٍ، فهي في بعض الأحيان تحصل على راتبٍ أقل من الذي يحصل عليه زميلها الرجل في نفس العمل ونفس المكان والوظيفة.. وما زالت عند زواجها تُلقَّب بلقب عائلة زوجها وتترك لقب أسرتها الأصلي.

وحتى خبراء العلاقات العاطفية في الغرب ينصحون المرأة التي ترغب في الارتباط بعدم إظهار ذكائها وثقافتها بشكلٍ كاملٍ للرجل حتى لا تفقد جاذبيتها، وهو نفس المفهوم المتعارف عليه ضمنيًّا لدى النساء في كافة أنحاء المعمورة على اختلاف انتماءاتهن!

وحجة إرضاء غرور الرجل لكسب محبته هي الحجة التي تسببت في عدم إظهار الذكاء علانية، بل ممارسته "من تحت لتحت"، فيما يُسمى بالدهاء أو الكيد الأنثوي، وهو ما يمكن اعتباره أيضًا إذا صح التعبير نوعًا من القوة المستترة داخل إطارٍ من الضعف، أو نوعًا من الضعف القوي، أو أيًّا ما كانت المُسميات التي لا تغير من واقع الأمر شيئًا.

كما أن المرأة تتميز عن الرجل في معظم لغات العالم- إن لم يكن كلها- بوجود صفتين لها أو حالتين، إما آنسة أو سيدة، على عكس الرجل المُلقَّب "بالسيد" دائمًا!! وكأن أهم صفة يجب أن تميز المرأة عند تعريفها لنفسها لدى الآخرين هي كونها متزوجة أو غير متزوجة، مما يعكس نظرةً ضيقة محدودة للأنثى.

t.me/qurssan

وإذا كان ذلك ينطبق على العالم كله، ففي وطننا يزدادُ الطين بلة.. وبشدة!

وبغض النظر عن كل أنواع التحرش والتعدي على المرأة في الشارع المصري، والذي لا مجال لتحليل أسبابها المعقدة هنا، وليس من بينها ملابس الضحية بالطبع، إلا أن النظرة المتدنية للمرأة عمومًا تشعرني كأننا كنساء ما نحن سوى كائناتٍ فضائية، يتعجب الرجال من وجودنا معهم في الحياة، وكأن المرأة "عالة" على المجتمع، على الرغم من أن "الستات" في مصر هي ذاتها من تعول أسرتها وزوجها العاطل في كثيرٍ من الأحيان..

وهذه المضايقاتُ والمنغصاتُ التي نواجهها يوميًّا، لا تفرق بين النساء، سواء من كانت محتشمة أو غير ذلك، وسواء من كانت تمشي في الشارع أو تقود سيارة.

ويا لسوء حظ هذه الأخيرة إن ارتكبت خطأً ما أثناء القيادة مهما كان صغيرًا، فما أن يكتشف أحدهم أنه توجد وراء عجلة القيادة امرأة حتى يصيح ولسان حاله يقول "مش ناقصة كمان الستات". وأغلبنا يعرف هذا الموقف جيدًا!

وكأن الرجال قد احتكروا الشارع ولم يجدوا بديلًا سوى إسقاط كل خيبات أملهم وإحباطاتهم على النساء.

أما عن "خناقات الشوارع" بين فئة الجهلاء، وهي فئة تتسم بكونها منتشرة وعابرة للطبقات الاجتماعية، فحدِّث ولا حرج..

والسُّباب المتبادل إذا كان يتعلق بالأم فهو أكثر جرحًا

t.me/qurssan

للكرامة!

وإذا حاولنا أن نعرف السبب، نجد من يقول إن ذلك يرجع لكون (الأم) رمزًا مقدسًا لا يُمكن المساس به!

فعلًا؟!

هل يتم التعامل مع المرأة والفتاة في الشارع المصري كرمز مقدس؟ وهل يعني أن المرأة كائن أو "شيء" مقدس، أن الرجل كائن أو "شيء" مُدنَّس أو نجس؟!

أما عن صورة المرأة في الإعلام فالحديث عنها يطول، وإذا كان تحليل الدراما المُقدمة ومعرفة آثارها أمر يطول شرحه.. إلا أنه يمكن تلخيص الوضع فيما فعله محمد رمضان لإذلال خَصمه في مسلسله الأشهر "الأسطورة"، عندما قام بإجباره على ارتداء ملابس نسائية ليلحقه "العار" إلى الأبد! وهو الأمر الذي ناقشه الكتاب في موضعٍ سابقٍ.

فالرجلُ يلحقه العار إذا ما اضطر في خناقة أن يقول رغمًا عنه "أنا مَرَة!"

بينما يتم مدح المرأة لجدعنتها بوصفها بكونها "راجل"!!

فالرجولة أمرٌ جيدٌ أما الأنوثة فعار! رغم أنهما وجهان لعُملةٍ واحدةٍ هي "الإنسانية".

أما "الإعلانات"، وهي أقصر الرسائل الإعلامية التي تُخاطب الجماهير وتصل إليهم بسهولةٍ كالحقنة تحت الجلد، فإذا أخذنا عينة عشوائية منها سنكتشف بسهولةٍ أن المرأة

t.me/qurssan

فقط تُقدّم في إطار من اثنين، أولهما هو إطار الأنثى الجميلة "شكلا"، وكثيرة هي الإعلانات التي تبرز دور بشرة المرأة وجمال شَعرها في حصولها على زيجة، أو حتى فرصة عمل أفضل، منها ذلك الإعلان الذي يغريها باستخدام منتجات "لتفتيح البشرة"، وهو الإعلان الذي لاقى انتقادًا واسعًا من قِبَل منظمات المرأة وحقوق الإنسان عندما عُرضت نسخة منه في الهند، وذلك لإساءته لأصحاب البشرة السمراء، وهو في الحقيقة يُسيء للمرأة ولجنس البشرية بشكلٍ عام.

والإطار الثاني هو إطار الأم وربة المنزل الذي يتلخص دورها في تقديم الطعام لأطفالها وإغراء الجيران والضيوف برائحة الطعام الشهي، وغسل ملابس زوجها ليتباهى "بنظافة مراته" وسط الجميع.. حيث كانت عبارة "نضافة تشرَّف" شعارًا لإحدى الحملات الإعلانية لمسحوق من مساحيق الغسيل لفترةٍ طويلة.

فهل شرف المرأة أو الإنسان يُختزل في درجة بياض الجلابية؟!

وهل الفتاة يجب أن تلهث لتصبح جميلة كي تحصل على زوج، ثم ما أن تحصل عليه، حتى يكون عليها أن تلهث مجددًا من أجل أن يكون المنزل مثاليًّا لتُرضي الجميع، بداية من الزوج، وأسرة الزوج، وجيرانها، والمجتمع والناس!

والحقيقة أنني لا ألوم الدراما ولا الإعلانات، فهي تعكس

t.me/qurssan

فقط النظرة السائدة في المجتمع ومفاهيمه تجاه كل الأشياء.. وللأسف فتلك هي ثقافة مجتمعنا.

فالإعلام ليس خالقًا أو صانعًا للثقافة بقدر ما هو ناقلٌ لها بشكلٍ أو بآخر.

أتذكر أنه منذ عدة سنواتٍ تم اتهام رجل أعمال شهير بمقتل فنانة شابة، قيل وقتها أنها عشيقته، ورغم أن كل أصابع الاتهام كانت ضده، فإن الشارع المصري تعاطف مع المتهم ولم يتعاطف مع القتيلة!

سمعتها بنفسي من مواطنة تم سؤالها في الشارع في إطار ريبورتاج أو تقرير لبرنامج جماهيري شهير، حيث لم تسأل تلك المواطنة عن أية تفاصيل، فقط أدلت بدلوها عندما سألها المذيع عن رأيها في قضية مقتل "فلانة" التي شغلت الرأي العام، ورغم أن "فلانة" تلك روح بشرية لها حُرمتها العظيمة في كافة الأديان السماوية، فإنني لا أنسى رد تلك المواطنة يومها: "مين دي علشان تخلي (فُلان) يتسجن بسببها؟!"

فالمنطق ينتحر وتبقى الأعراف.. ولم يعد السؤال هو: هل المتهم مُدان فعلا أم لا؟.. بل أصبح السؤال هو: هل القتيلة تستحق أن نحزن من أجلها ونعاقب قاتلها؟!

كأن العدالة "على هوانا" وليست قيمة مُطلقة يجب السعي لتحقيقها بغض النظر عن أية اعتباراتٍ أخرى.

فالقتيلة لا ثمن لحياتها بجانب أهمية حياة "رجل" الأعمال، لأنه فقط "رجل" رغم كونه متهمًا محتملًا..

t.me/qurssan

ورغم أن القتيلة "ضحية" بشهادة الجميع إلا أنها تظل هي المخطئة، لأنها ربما أغرت الآخرين بقتلها!

والأهم أن هذا الرأي، المُنحاز ضد المرأة وضد الإنسانية عمومًا، قد قيل على لسان إحدى النساء.

أما على صعيد الخطاب الديني، والذي يحمّل النساء مسئولية كل شر يمكن أن يحدث لهن في الشارع، فقد تمت في فترةٍ من الفترات مناقشة إمكانية استصدار فتوى شرعية بتحليل التحكم في جنس الجنين، ليس على المستوى الفردي، أي برغبة كل أسرة على حدة، ولكن بشكلٍ قومي!!

أي قرار رسمي بزيادة عدد الذكور!

والتحكم في جنس الجنين هو التدخل بشكلٍ طبي لاختيار الأجنة التي تحمل كروموزوم الذكر، أو الأنثى بالطبع، وهو الشيء الذي أصبح يمكن التحكم فيه بنسبةٍ معينةٍ، ومن المفترض ألا يفعل الأطباء ذلك إلا لضرورة كوجود مرض وراثي يصيب جميع الإناث في العائلة، فبالتالي يُحاول الطبيب تجنب ظهور هذا المرض، والعكس صحيح إذا كان المرض مثلًا لا يصيب إلا الذكور، أو غيرها من الأسباب.

وقد سمعتُ أحد الشيوخ في إحدى الفضائيات يناقش هذا الأمر، ويقول فيما معناه: "إنه من الممكن أن يكون ذلك اتجاهًا قوميًّا إذا كانت حالة البلاد تستدعي ذلك، كأن نكون في حالة حربٍ تستدعي كثرة وجود الذكور

t.me/qurssan

للعمل كجنود"!

وقد أصابني الدوار مما سمعته.. ودار برأسي فورًا عددٌ من التساؤلات..

أولًا: إذا افترضنا أنه يوجد بلد ما في حالة حرب، فهل يسعى لزيادة عدد ذكوره للحاق بهذه الحرب، أملًا في ألا تضع الحرب أوزارها قبل أن يكبر هؤلاء المواليد الذكور ويصلون إلى مرحلة الشباب، وبالتالي تكون لديهم القدرة على القتال؟

وما هو البلد الذي يظل في حالة حرب دائمة وتتعاقب عليه الأجيال والحرب لا تنتهي فيه؟!

وحتى إذا صح ذلك جدلًا، ألن يصيب هذا الأمر ميزان الكون الدقيق بالاختلال؟

ثانيًا: هل إذا كانت هناك دولة إسلامية، ولنقل آسيوية ليصبح المثال واضحًا، يعتمد اقتصادها على الصناعات اليدوية الدقيقة مثل التطريز والمنسوجات وغيرها من الأشياء التي تبرع فيها النساء، هل سنجد حينها من يُنادي بالتحكم في جنس الأجنة لزيادة عدد الإناث للنهوض بالصناعة وبالتالي باقتصاد هذا البلد؟!

ثالثًا: هل سنجد صوتًا يطالب بزيادة عدد الذكور من أجل السبب الأشهر لدينا في المجتمعات الريفية وأحيانًا في الحضر، وهو "العزوة"، والعزوة عندنا يتم تعريفها بأن الولد (الذكر) يُساعد والده وأسرته، لكننا لا نصرّح بالسبب الحقيقي أو التعريف الدقيق للعزوة، وهو أن

t.me/qurssan

الولد (الذكر) يمنع أموال والده وميراثه من الفرار خارج إطار أسرته!

أليس هذا هو السبب الحقيقي لتفضيل إنجاب الذكور في مجتمعنا؟

بالتالي فأي حديث عن ضرورة زيادة عدد جنس معين لدواعٍ صناعية أو حربية إلى آخر هذا الكلام، يعتبر من الأشيّاء المُدهشة والمثيرة للعجب، فالحمد لله أننا لسنا في مجتمع (قَبلي) قائم على الحروب بين القبائل والطوائف!

بل نحن في مجتمع من المفترض أنه حديث، والمجتمعات الحديثة تقوم على مبدأ (الفردية)، ولكن يبدو أننا أبعد ما نكون عن مبادئ المجتمعات الحديثة أو المجتمعات بشكل عام!

فالشارع عندنا ممتلئ بكل أشكال وأصناف العجائب.. فمجتش يعني على وضع المرأة!

t.me/qurssan

(١٩)
وقفة الكشك!

١) كتير كبنات بنسأل بعض: "كان نفسك تبقي ولد"؟!

أو: "هتعملي إيه لو كنتي اتولدتي ولد"؟!

بالنسبة لي السؤال مش صعب، لأني سألته لنفسي كتير، صحيح مكنش نفسي أكون ولد، بس لو كنت اتولدت ولقيت نفسي ولد، أو اتحولت فجأة لولد، أول حاجة كنت هفكر فيها أني أقف على الناصية في الشارع عند كشك الحاجة الساقعة!

أمنية تافهة؟!

يمكن تبان تافهة.. ويمكن أكون قلت أمنيتي دي.. بسرعة وبدون تفكير..

يمكن لأن الأمنية دي بالذات "وقفة الكشك".. عندي من زمن بعيد.. بحلم بيها يعني..

٢) اتربيت في بيت فيه مساواة لدرجة معقولة بين الولاد والبنات.. كنت بلعب في الشارع.. بركب العجلة وبلعب كورة وبروح النادي..

لكن مع سن المراهقة.. بدأت خروجاتي مع صديقاتي من الفتيات تتغير شوية بشوية.. يمكن محدش طلب مني ده..

لكن جت بطبيعة الحال.. بحكم التنشئة الاجتماعية اللي بتكون مش بس في البيت.. بتكون كمان في كل الكلام

t.me/qurssan

اللي بنسمعه في المدرسة ومن الصحاب وفي التلفزيون.. الكلام اللي بيخلق الوعي الجمعي للبشر اللي عايشين في المجتمع ككل.

بقينا أنا وصاحباتي نتمشى لحد محل الآيس كريم ونقف عنده شوية، وبعدين نرجع بيت حد فينا وممكن نعمل أكل..

يمكن محل الآيس كريم قريب من فكرة "الكشك".. لكنه مش زيه بالظبط.. فيه فرق.. البنات بس اللي يقدروا يحسوا بالفرق ده!

٣) في الجامعة.. الخروجات كانت سينما أو مطاعم أو تجمعات في بيوت.. أعرف أن فيه بنات مش بيكون متاح لها حتى ده.. والمفروض أكون ممتنة كفاية بشكل يخليني ما أشوفش اللي ناقصني!

ومع ذلك فضلت نقصاني "وقفة الكشك"!

مع أني كنت بخرج في أماكن أجمل.. وأكيد كنت بصرف فلوس أكتر من اللي بيصرفه أخويا أو جاري أو أي ولد في سني.. وهو واقف قصاد الكشك.. بيشرب حاجة ساقعة وبسكوت بيمبو وكيس شيبسي صغير.. أو حتى عائلي..

بس الكشك كان دايمًا فيه حاجة سحرية جميلة.. ناقصاني..

٤) ما أظنش أن حبي ليها اتخلق لأن الممنوع مرغوب..

لأني عمري ما فكرت مثلا في "قعدة القهوة" ولا استحليتها.. ده على سبيل المثال..

t.me/qurssan

يمكن علشان فيه شيء موازي للقهوة، نسبيا،
وهو "الكافيه"..
إنما "وقفة الكشك" مفيش شيء موازي لها.. تقريبًا..
الحلو في وقفة الكشك هو ببساطة يتمثل في "انعدام الهدف"!
بتحصل في أي وقتٍ وكل وقتٍ.. وبلا سبب معين أو تبرير لتلك الوقفة!
ساعات الخروجة كلها بتكون هي بس الوقفة دي.. اللي قصاد الكشك..
وساعات ما بيكونش فيه أصلًا خروج والوقت شتا وبرد وامتحانات.. والكل قاعد في البيت..
لكن الولاد بينادوا على بعض من الشبابيك.. وبكل أريحية.. بيقولوا اسم بعض بصوتٍ عالٍ بدون خجل.. فينزلوا ويتسرسبوا ويقفوا قصاده كنوعٍ من التسرية أو التهوية!
وبعدها.. يطلعوا يكمّلوا مذاكرة.. عادي!
ولا بيكون اسمها خروجة واتحسبت عليهم.. ولا بتحتاج فلوس.. ولا بتحتاج ترتيب.. ولا استئذان!
وساعات الدنيا تكون صيف ونفس الشلة خارجة.. في السينما أو في أي مكان.. لكن يفضل الكشك بمثابة "ديل" للخروجة.. تكملة ليها.. كمالة.. بلغة الكشري.
ترجع الشلة على الشارع اللي هم ساكنين فيه..لأنهم في

t.me/qurssan

الغالب جيران في نفس المنطقة..

وقبل ما يطلعوا بيوتهم.. بتيجي اللحظة السحرية.. بيشوفوا الكشك من بعيد واقف في شموخ.. فبيقرروا يقفوا شوية قصاده.. "لكاعة" !

في الحقيقة عمر ما حد قال عليها لكاعة.. يمكن علشان اللي بيعملها ولاد.. والبنات هم اللي بيتوصموا باللكاعة..

٥) صحيح بنقول على الولاد دول "صيَّع" بسبب وقفتهم أمام هذا الصغير الساحر المُلقب بـ "الكشك"، لكن مع ذلك عمر الوصف ده ما بيكون وصمة ليهم.. أبدًا.

"صيَّع"! كلمة كبيرة.. بس مع الولاد.. بتبقى كأنها كلمة عادية.. ما بتلزقش!

فمش بتعيب حد فيهم.. ولا بتسيب له علامة مميزة بالسلب.. تجري وراه طول عمره.

الستات الكبار عندهم برضه فكرة "ديل الخروجة" أو إن صح التعبير "ديل الزيارة".. استخسار إنهاء اللقاء والوقوف أمام باب الشقة لتكملة "شوية كلام"!

ورغم أن الستات دايمًا يتلاموا على الحركة دي.. إلا أنها هي نفس فكرة وقفة الكشك.. تقريبًا.. لأن الدقايق الأخيرة دايمًا ليها سحرها الخاص..

٦) واستكمالًا لفكرة "الشتيمة اللي مبتلزقش" في الولاد وبتلزق في البنات..

t.me/qurssan

فشباب "الكُشك" أحيانًا بيتجاوزوا المتعة الحلال المتمثلة في الوقوف في الهوا.. ويقفزوا على أشياء أخرى..

زي المعاكسة بدرجاتها.. أو حتى مجرد ملاحظة الرايحة والجاية من الفتيات المساكين وانتقادهن أحيانًا..

والغريب أن البنت اللي ماشية في حالها غالبًا هي اللي بتتوصم!

لأن شباب الكشك قرروا ده.. وبيفضل شباب الكشك رغم كل اللي بيعملوه.. ورغم الوصم بالصياعة، شباب عاديين! مقبولين اجتماعيًا جدًا!

يمكن طايشين.. وأكيد هيعقلوا.. المهم أنهم مصنوعون من "تيفال"! الشتيمة فيهم ما بتلزقش.. والقطنة ما بتكدبش!

٧) البنت مبتبقاش عايزة تنزل الشارع.. أو تنزل البحر.. أو تنزل تركب عجلة علشان "تصيع"..

هي بس محتاجة.. زيها زي الولد.. وزي أي كائن حي معدّي في الشارع.. أنها تشم هوا من غير ما تتحط في قوالب..

من غير ما تكون الخروجات هي بس المدرسة أو الجامعة والخروج لزيارات العائلة، أو حتى الخروج للسينما أو المطاعم..

"الفضاء العام".. كله.. ملكية للجميع.. الولاد مش حرّاس عليه.. والبنات مش مفروض أبدًا يكونوا مجرد ضيوف عليه..

t.me/qurssan

البنات مش بينزلوا في الشارع ولا في أي مكان فقط لأن الممنوع مرغوب.. هو فعلًا النزول في الشارع شيء مرغوب.. لكن ليه من أصله يكون ممنوع؟!

ليه الأصل في الأشياء مش هو الإباحة زي ما دايمًا بيتقال!

البنات مش بينزلوا في الشارع ولا في أي مكان للفت الأنظار.. مش بيلبسوا حلو للفت الأنظار.. هن كائنات عاديات..

ولديهن أسباب كتيرة لحب الحياة والاستمتاع بيها.. بدون ما يكون فيه أي غرض ملتوٍ لذلك!

٨) لو كنت ولد أول حاجة هعملها هنزل أقف قصاد الكشك.. أقف بكل حرية لأن الشارع بتاعي لمجرد أني ولد.. و"هحاول" أقف من غير ما أعطي نفسي الحق أني أحكم على البنات.. من غير ما أقرر "حقهن" في التمشية من عدمه.. أو "استحقاقهن" للوصم من عدمه..

أو يمكن.. ألاقي نفسي بحكم التنشئة الاجتماعية.. وبحكم العادة والتواطؤ.. وبسبب السلطة اللي ربما اتحطت في إيدي بسبب الوقفة جنب ذلك الكشك السحري..

السلطة اللي خلتني قادر على وصم الجنس الآخر بلا وجه حق..

يمكن لكل الأسباب السابقة.. ألاقي إني من غير ما أحس.. احتكرت لنفسي أنا وأبناء جنسي بس.. الحق في الاستمتاع بالوقفة اللي ملهاش أي لازمة أو ميزة غير كونها رمز للحرية البسيطة المطلقة بلا أي قيود ولا أسباب..

تلك الوقفة المجانية الساحرة.. "وقفة الكشك"!

t.me/qurssan

(٢٠)
رجال لا يعرفون ماذا تريد النساء!

"أنا معنديش أخت، ولا بنت، ولا أم، يبقى ما نلعبش ببنات الناس ليييه؟!"

تلك هي العبارة التي استخدمها صناع فيلم "علي بابا" (٢٠١٨) للترويج له، ولأن الإعلان وحده "أضحكني" فقد أغراني ذلك بمشاهدة الفيلم، خاصة أن مؤلفه "كريم فهمي" هو من قام بكتابة فيلم "هاتولي راجل" منذ عدة سنوات، والذي تناول فيه قضية المرأة وعلاقتها بالرجل في المجتمع الشرقي بطريقةٍ متوازنةٍ وبعيدةٍ عن النظرة الذكورية إلى حد كبير، وقد كان سؤال فيلم "هاتولي راجل" هو: "ماذا لو تبدلت الأدوار بين المرأة والرجل في المجتمع كله؟" وكانت الإجابة التي قدمها الفيلم منصفة للمرأة بشكل عام، وموضحة للظلم الواقع عليها في المجتمع.

المهم.. أنني قررت مشاهدة فيلم "علي بابا"، ومن حيث "الضحك" فقد كان مضحكًا فعلًا، رغم أنه قد بدأ في أول مشاهده بالسخرية من المنظمات النسائية التي تُحارب التحرش وتنبذ فكرة "لوم الضحية"..

ورغم عدم استساغتي بشكلٍ عام لفكرة السخرية من "جهود المرأة في مقاومة التحرش" التي يفعلها الكثيرون، فإنني قد رأيت ذلك مقبولًا في إطار كوننا نشاهد وجهة

■

t.me/qurssan

نظر بطل الفيلم، "كريم فهمي"، حيث يلعب دور الشاب المستهتر أو "زير النساء" مُتعدد العلاقات والذي يسير وفقًا لمبادئ خاطئة أصلًا طوال حياته.

وفي الدقائق الأولى التي تخلق عالم البطل وتُمهد لتطور الأحداث، تحدث المفارقة الدرامية التي تدفع الأحداث للأمام، وهي اكتشاف البطل أن له ابنة غير شرعية تعمل راقصة، ذلك الأمر الذي غيَّر وجهة نظر البطل في الأشياء.. أو هكذا يُفترض!

ذكرني الفيلم فورًا بفيلم أمريكي آخر من بطولة ميل جبسون وهيلين هانت، وهو فيلم

What Women Want أو "ماذا تريد النساء" والذي تم عرضه في عام ٢٠٠٠ .

الفيلمان يفرق بينهما ١٨ عامًا، ويفرق بينهما أشياء كثيرة أخرى، فالتيمة نفسها أو الفكرة الأساسية مختلفة تمام الاختلاف. ولكن الأمر الطريف جدًا أنه على الرغم من كونهما لا يرتبطان بأي صلة على صعيد الفكرة، إلا أن صلة قوية جدًا تربطهما معًا!

صلة غير مباشرة، لكنها تظل صلة قوية.

فكرة الرجل العادي الذي لا يكترث لشيء، وتحدث مصادفة قدرية تجعل بصيرته أقوى، وتعلمه درسًا "بالطريقة الصعبة" حول أشياء يجهلها، ويتصادف أن الدرس في الحالتين متمحور حول النساء.

ففي الفيلم الأمريكي أصبح البطل قادرًا على قراءة أفكار

t.me/qurssan

النساء، ومن هنا تغيرت نظرته عن النساء من نظرةٍ تقليديةٍ سطحيةٍ إلى نظرةٍ متعقلةٍ ومتعمقةٍ، وبالتالي صار البطل أكثر تفهمًا لزميلاته في العمل وكذلك لابنته.

أما البطل في الفيلم المصري، فلم يتعلم درسًا حقيقيًّا، ولم ينقل الفيلم كله تقريبًا فكرة تستحق التوقف عندها، بل أعاد فقط تدوير أفكار موجودة بالفعل في المجتمع، وللأسف فهي أفكارٌ تقليديةٌ وسلبيةٌ.

وربما ما أعجبني في الفيلم أنه قد نجح في إضحاك الجمهور، رأيت ذلك بنفسي في قاعة السينما، أي أنه قد نجح في أداء مهمته بشكلٍ كاملٍ فيما يتعلق بكونه فيلمًا كوميديًّا.

فالضحك والتسلية، أو"الاستمتاع" بشكلٍ عام هو هدفٌ في حد ذاته، بل هو الوظيفة الأولى من وجهة نظري للفن، وقد نجح فيها الفيلم، على الرغم من الخلل الذي شابه دراميًّا بعد النصف الأول منه.

فبخلاف المفارقة الدرامية التي حرَّكت الأحداث، وهي اكتشاف البطل أن له ابنة غير شرعية، فإن كل ما تلا ذلك لم يكن مصنوعًا بدقة، بل سار كيفما اتفق، كأن تطور الأحداث لم يكن مخططًا له، وكأن المهم هو إنهاء القصة في اتجاه دفع المشاهد بأي شكلٍ لفهم "الدرس" المطلوب توصيله، أو بمعنى أدق "الدرس" الذي يدَّعي صانعو الفيلم أنهم يرغبون في توصيله.. على الرغم من فعلهم للنقيض على طول الخط.

t.me/qurssan

وعلى ذكر "الدرس المُستفاد"، ومع سخافة هذا المصطلح في الأساس.. إلا إنه دائمًا ما تكون هناك "فكرة براقة" اعتاد الجمهور أن يُسميها درس الفيلم أو رسالته، وهنا يكمن مربط الفرس.

"أنا معنديش أخت، ولا بنت، ولا أم، يبقى ما نلعبش ببنات الناس ليييه؟!"

بالعودة لتلك الجملة المفتاحية للفيلم والتي تُشكل مبدأ البطل في الحياة، وهي الجملة التي أعجبتني تكنيكيًّا لأنها "ملعوبة" و"ضحكتني"، وهي ملائمة للثقافة السائدة والتي تشير دومًا إلى أن "اللي يخاف على بناته ميلعبش ببنات الناس"!

لم تُضايقني الجملة لأنها تعبِّر عن وجهة نظر البطل، لكن ما ضايقني أن وجهة نظره للأسف لم تتغير مع تطور الأحداث، رغم أن الفيلم يدَّعي أنه يُعادي فكرة "البطل المتحرش"، لكنه لم يُعادي تلك الفكرة للأسباب الصحيحة!

ففكرة الأنانية الذكورية واستباحة النساء والتقليل من شأنهن، كمبادئ يؤمن بها البطل، يبدو أنها كانت مسيطرة أيضًا على صناع الفيلم بشكلٍ أو بآخر وبدون وعي منهم، ويبدو أنه لا أحد يفهم أصلًا ما المقصود بفكرة الذكورية ولماذا هي فكرة قديمة وبالية وقبيحة جدًّا.

فقبح الذكورية ينبع من أنها لا تتماشى مع مبادئ مهمة

t.me/qurssan

مثل "حرية" و"إنسانية" المرأة أو الإنسان بشكلٍ عام، وهذه المبادئ لم يُدافع عنها الفيلم في حد ذاتها.

وبدلًا من ذلك فقد تبنى الفيلم فكرةً نفعيةً للغاية وهي أننا "لا نعتدي على نساء الأغراب حتى لا يعتدي الآخرون على نسائنا!".

وهو مبدأ يتنافى تمامًا مع فكرة الحفاظ على الحق من أجل كونه حقًّا مطلقًا ومجردًا في حد ذاته.

وفي الحقيقة لو كان الفيلم قد اكتفى بأن يحكي عن "زير نساء" تقليدي، فقط من أجل إضحاك الجمهور، لكان الوضع أفضل بالنسبة لي.

فعدم وجود هدفٍ أفضل وأنبل من ادِّعاء وجود هدفٍ غير حقيقي، كما أنّ إعادة إنتاج خطاب الماضي على أنه خطابٌ حداثي وتقدمي ليس كافيًا حتى لو صلحت النوايا.

ففي الفيلم الأمريكي خاض البطل رحلة اكتشف في نهايتها أن هناك حلقة مفقودة لا يعرفها الرجال عن عالم النساء، وعرف "بالتدريج" و"بالطريقة الصعبة" كم كان أنانيًّا في تصرفاته قبل بداية رحلته مع الأحداث، وبالتالي فإن الجمهور قد يفعل مثله ويُعيد النظر في قناعاته.

أما البطلُ المصري فكل ما حدث له على أحسن الافتراضات هو أنه بدلا من أن يفكر أنه "أنا ليس عندي بنت ولا مانع من أن ألعب ببنات الناس"..

فقد أصبح يفكر أنه "لقد أصبح لدي بنت وبالتالي من العيب أن ألعب ببنات الناس"!

t.me/qurssan

فالدرسُ المصري هو درس قديم جدًّا ملخصه أن "اللي نعمله في بنات الناس هيترد لنا في بناتنا"، وقد يخرج الجمهور على الأرجح من الفيلم ولسان حاله يقول "كما تدين تُدان".

فنحن نتجنب الشر فقط لخوفنا أن يرده القدر إلينا، وليس كرهًا في الشر نفسه!

وهو منطقٌ طفولي، يحكمه فقط الخوف من الجزاء.

والأغرب أننا لا نخشى فقط من أن القدر سيُجازينا ويُعاقبنا لأننا نصنع بعض الأخطاء، بل نؤمن أنه أيضًا سيجازي بناتنا نتيجة لما اقترفناه في بنات الناس!

أما عن خوفنا من أن يجازينا "القانون" كمنتهكين له، فلا يشغل بالنا، لأن القانون غالبًا لا يعتبر فعلتنا انتهاكًا!

وربما لا يجب أن يُلام صناع الفيلم، وربما من الظلم إذن أن نقارنه بالفيلم الأمريكي، لأن الفارق بين الفكرتين هو نفس الفارق بين مجتمع تسود به الثقافة الذكورية الأبوية، أو بمعنى أعم، الثقافةَ المركزية، في مقابل مجتمع آخر لا أقول إنه منصفٌ ومثالي بشكلٍ كاملٍ، فهو مجتمعٌ شديد المركزية أيضًا، لكن على الأقل لدى مثقفينه بعض الوعي الذي يدفعهم لبذل الجهد نحو تحقيق المساواة بين جميع أفراده بغض النظر عن النوع.

t.me/qurssan

(٢١)
الرجل الوحيد في اجتماع مجلس الآباء!

١) ملاحظات عابرة!

من منا لم تقع عيناه على أسرةٍ مكونةٍ من زوج وزوجة وطفلٍ صغيرٍ، يسيرون جميعًا في الشارع المزدحم، وبينما الأم تحمل الطفل بصعوبةٍ، فإن زوجها يسير بجانبها، إن لم يكن أمامها، خالي الوفاض تمامًا لا يعاني من أية منغصات؟!

"هنيئًا له!" هكذا فكَّرت مستنكرة المشهد، وأنا أشير لصديقتي كي تنظر لتلك الأسرة التي لا يعتبر حالها فريدًا أبدًا!

لتخبرني صديقتي قائلة: "ربما الطفل هو من يرغب في ذلك لأنه أكثر ارتياحًا بين ذراعي أمه!"

هززت رأسي وابتسمتُ بينما أفكر أن ما قالته صديقتي للدفاع عن الأب، وإن صح، فإنه يُعد مجرد "عذر أقبح من ذنب"!

٢) كذبة وصدقناها!

يكتسب الذكر إحساس الأبوة بعدما يُصبح أبًا بالفعل ويجد أولاده يكبرون أمامه!

أما فكرة "الأمومة" فإنها تولد مع الأنثى!

فهي غريزة أساسية للفتاة ولكنها فرعية للغاية بالنسبة للفتى!

t.me/qurssan

تلك الأفكار التي نسمعها مرارًا وتكرارًا، تعد من أهم الأسباب التي تضرب مبدأ المشاركة داخل الأسرة في مقتل، والأمر المضحك أيضًا أنها تهين الذكر باعتباره ليس "إنسانًا"، ولا يملك أية مشاعر أو نضج يُذكر.

والكثيراتُ من النساء يصدمن بعد زواجهن وإنجابهن من المسئوليات اللانهائية التي تُلقى على عاتقهن بلا سابق إنذار، خاصة أن الجميع بمن فيهم الزوج، يتوقعون منهن تحمل تلك الأعباء بلا شكوى، بحجة "غريزة الأمومة" التي تصنع المعجزات.

ولذلك فإن معظم فتيات الجيل الحالي قد انتبهن للفخ، فالكثيرات منهن تخلين عن حلم الإنجاب، لأنه ببساطة مع كل أعباء الحياة المعاصرة، فضلًا عن إصرار الرجال على عدم المشاركة في عبء التربية، أصبح حلمًا باهظ الثمن للغاية، إن لم يكن شبه مستحيل.

وأظن أنه لو شهدت السنوات القادمة عزوف الفتيات عن الزواج وتكوين أسرة، فستعلو الأصوات التي تتهم الفتيات بالانحلال أو "الاسترجال"، وسيتناسى الجميع أن ذلك يرجع بشكلٍ أو بآخر لأنانية الرجال، أو النسق الاجتماعي الذي شجّعهم على تلك الأنانية، مما جعل الكثيرات من الأمهات بمثابة "سنجل ماذرز" بينما أزواجهن أحياء يرزقون!

٣) الرجل الوحيد في اجتماع مجلس الآباء!

كلنا نعرف منظر ذلك الأب، ذلك الذكر الفريد، وحيد

t.me/qurssan

الخلية، الذي يجلس وحده كالصقر بين عشرين أمًّا، بينما الكل ينظرون إليه ويفكرون..

هل توفيت زوجته مؤخرًا، هل زوجته قوية و"مصدَّراه" في شئون العيال، هل هو مُصاب بالوسواس القهري بشأن مستقبل أولاده ولهذا يحرص على الحضور بنفسه؟!

وعلى الرغم أن اسمه "مجلس آباء".. فلا يوجد أب آخر سوى هذا الرجل!

وكونه أصبح يُسمى Parent's Meeting مؤخرًا لا يغير من حقيقة الأمر شيئًا، ولا يجعله مجلسًا للأمهات!

ومع ذلك فإن هذا الاجتماع المدرسي صار من نصيب "الأم" في الغُرف الاجتماعي في السنوات الأخيرة.. ولا أعرف السبب الحقيقي وراء ذلك الأمر.. أو ربما عارفة "وبستهبل"!

٤) الرجولة أدب!

يرى البعضْ أن مظهر الرجل الذي يحمل طفلًا، أو يقوم بتغيير حفاضته، أو حتى حضور التمرين الرياضي برفقته أمرًا غير ذكوري بل ومقززًا للغاية!

ولو أنه لا يوجد دليل واحد أو إشارة حقيقية تربط بين تلك المظاهر وبين مفهوم الرجولة أو الذكورة.

الرابط الوحيد هو "الأنماط الاجتماعية السائدة".. لا أكثر ولا أقل.

ومن الجميلِ أن نراجع بين كل حين وآخر تلك الأنماط، لأن مثل تلك المفاهيم القديمة تصبح عبئًا حقيقيًّا يمنع

t.me/qurssan

قدرتنا كأفرادٍ على الحياة بشكلٍ أفضل وأسعد.

ومن الغريب والمُضحك أنه في الثقافة الغربية، فإن الرجل الذي يُمارس أبوته مع أطفاله على الملأ، يعتبر رجلًا جذابًا للغاية في نظر النساء!

5) اغسلي هدومك ووفري فلوسك!

لفت نظري مؤخرًا أن عبوة الصابون العادي مكتوب عليها بصيغة المؤنث "جددي نشاطك"!

وبالصابون العادي أقصد سائل الصابون المخصص لليدين.. وليس صابون "المواعين" لا سمح الله.

وقد عودتنا شركات الإعلانات أن تروج للمنظفات وغيرها من السلع المنزلية بتلك الصيغة "نظفي بيتك" "وفري فلوسك"، "كوني متأكدة"، "ربي عيالك!" وهكذا..

فكل ما هو متعلق بـ"سحلة" المنزل هو عمل نسائي صميم، للدرجة التي أصبح فيها الصابون العادي أيضًا مستهلكته الأساسية هي الأنثى!

ربما لأن الرجال لا يفعلون شيئًا.. وهم بالتالي ليسوا في حاجة لغسل أيديهم ولا تجديد نشاطهم!

هذا هو التفسير الوحيد!

الأمرُ الذي يرسّخ لصورة المرأة "ماكينة النظافة" والرجل "الـ لا إنسان"!.. أو "ماكينة النقود" إن صح أن يكون له دور.

ورغم أن معظم النساء أيضًا أصبحن يُسهمن في مصروف

t.me/qurssan

المنزل "كصانعات للفلوس" منذ سنواتٍ طويلةٍ، فإنهن مع ذلك قد احتفظن وحدهن بأعمال المنزل، بلا أدنى تغيير للأوضاع القديمة.

وما شعار "البيت مملكة المرأة" سوى حجةٍ أخرى لتوريط المرأة في المزيد من المهام، وعدم إتاحة فرصة ولو بحجم "النملة" لمشاركة الرجل في مهام الملكة الأم، التي تُعاني من أمومة مبالغ فيها!

٦) إجازة وضع!

في بعض دول العالم المُتقدم، وفي بعض الشركات الدولية الكبرى، من حق الأب الحصول على إجازة مخصصة لرعاية الطفل، ففي مجتمعاتٍ كتلك تغيرت كثيرًا ثقافة الإنسان البدائي، وأصبح من حق الطفل نفسه أن يجد والده بجانبه منذ اللحظات الأولى في حياته، ولا يعد هذا تفضُّلا من الأب بأي حالٍ من الأحوال، بل هو "واجب" ينبغي أن يقوم به ما دام اختار أن يصبح أبا، و"حق" ينبغي أن تناله الأم.

ولا أريد أن أقع في خطأ باعتبار هذا التعاون "حق" للأم فقط، فهو في الحقيقة "حق" للطفل ذاته، وضرورة لتحقيق سلامته النفسية.

ومن وجهة نظري فهو "حق" للأب أيضًا! ولكنه حق ربما لا يريده غالبية الرجال في مجتمعاتنا، لأنهم لا يعترفون بأهميته لسلامتهم النفسية هم أيضًا، أو لأن غالبيتهم لم يُجرب مذاق هذا التورط الجميل في حياة أبنائهم منذ البداية، وما يخلقه من رابطة قوية لا يعوضها شيء.

t.me/qurssan

٧) كلنا سناجل بالضرورة، لا أستثني أحدًا!

ازداد في السنوات الأخيرة استخدام مصطلح الأم "السينجل" أو "السينجل ماذر" خصوصًا في الدول الغربية، وهو الذي يعني الأم التي أنجبت بغير زواج..

لكن المصطلح أصبح يُستخدم مؤخرًا ليشير أيضًا إلى كل أم تقوم بتربية أولادها وحدها لأي سببٍ من الأسباب، كموت الزوج أو الطلاق مثلًا.

لكن الحال في مصر مختلفٌ.. لأن غالبية النساء هن "سناجل" بالضرورة، حتى لو كان أزواجهن يعيشون معهن في نفس المنزل!

فالعبء الأكبر يقع على عاتقهن وحدهن لأسبابٍ اجتماعيةٍ تبدو مُعقدة، لكنها واهية للغاية، ومع ذلك فهي تجعل ظاهرة "الأم الوحيدة" ظاهرةً إجباريةً وليست اختيارية، ومعظمنا كأمهات نعاني منها بنسبةٍ أو بأخرى.

٨) الأسرة السعيدة تتطلب أمًّا سعيدة!

الأم يجب أن تكون سعيدة فعلًا كي تصبح الأسرة سعيدة كما يقولون، لكنه ليس السبب الوحيد لحرص المجتمع على جعلها سعيدة، فالمرأة تستحق السعادة أولًا لأنها تستحق السعادة!

كأي كائن على وجه الأرض.

والطفل يستحق أن يحيا بين أب وأم يقومان بأدوارٍ متساويةٍ، وإلا صارت الحياة كالـ"عرجاء" التي تتكئ على

t.me/qurssan

قدمٍ واحدةٍ، وعلى الرغم من كونها تمشي بالفعل وتتقدّم للأمام، لكن ذلك يتم بصعوبةٍ شديدةٍ للغاية..

والمفاجأة أن هذه القدم الواحدة ستضعف آجلًا أوعاجلًا.. لتصبح غير قادرةٍ على السير مجددًا.

فهل ننقذ تلك القدم "السينجل" قبل أن تضعف تمامًا، بأن نجعل القدم الأخرى تعاونها في السير؟

أم نتركها لمصيرها الحتمي الذي سيتسبب في الإيذاء لباقي أعضاء الجسد كنتيجةٍ طبيعيةٍ ومتوقعةٍ للغاية؟

t.me/qurssan

(٢٢)
مسز داوتفاير.. ودروس مستفادة من فيلم جميل عن الطلاق!

١) تعود الزوجة من عملها لتجد المنزل في حالة فوضى فتصيح في زوجها الذي يكسر القواعد دائمًا، تخبره أن لا شيء بينهما مشترك وأنها ترغب في الانفصال!

تطلب الزوجة الطلاق من أجل عيد ميلاد تافهٍ أقامه الأب بدون علمها وتسبب في فوضى بالبيت! وهل هذا سببٌ كافٍ؟

هكذا هي زيجات كثيرة، تنتهي لأهون الأسباب كما يقولون.. كما يقولون وليس كما تقول الحقيقة.

فسبب الانفصال عادة ما يكون قمة الجبل الجليدي فقط، أما الجزء الأكبر من الجبل فلا يراه الآخرون. ولايعني ذلك أن الانفصال قد تم لسببٍ هيّن، بل سبب جرَّ وراءه سببًا حتى يصبح أي حدث صغيرٍ جديدٍ مثل القشة التي قسمت ظهر البعير.

٢) البعير هنا أو الزوج المغضوب عليه هو إنسان جيد إجمالا وليس مثل أبطال الأفلام العربية، فلو أراد صانعو أفلامنا أن يبرروا طلب الطلاق لسارعوا بإلصاق كل النقائص بالزوج حتى نتعاطف مع زوجته، وهو أمرٌ مغلوط، فليس ضروريًّا أن تكون شيطانًا حتى ترغب زوجتك في الانفصال عنك.

t.me/qurssan

فالبطل دانيال "روبين ويليامز" صاحب مبدأ لدرجة أنه مُستعد لترك عمله من أجل قناعاته، كما أنه مُحب لأولاده، وممثل موهوب أيضًا.

أما زوجته ميرندا "سالي فيلد" فهي ليست شيطانة أيضًا، بل زوجة ناجحة في عملها لكنها لم تعد تتحمل زوجها، فهو فوضوي وغير طموح ولم تعد تشعر بالسعادة معه، وهي أسبابٌ كافيةٌ كي يبتعدا عن بعضهما من وجهة نظرها.

٣) ولأن الزوج بلا عمل فقد قررت المحكمة منح حق الحضانة للزوجة وسمحت له بيومٍ واحدٍ لرؤية أولاده. والفيلم يطرح مشكلة الرؤية سواء كانت تحت رقابة في مكان عام أو حتى في شقة الأب، فالوضع قاسٍ في الحالتين، أن يرى الأب أولاده مثل الغرباء..

وأن يقوم غرباء بتقييم الأب وتصرفاته ليحكموا على مدى أهليته لتربية أولاده، وهو أمرٌ شائك أشار إليه الفيلم بذكاءٍ في أكثر من موضع.

٤) لا يجب أن نعامل الأبناء كمذنبين..

ففي اللقاء الأول مع أولاده بعد الانفصال يعتذر الابن لوالده لأن حفل عيد ميلاده كان سببًا في الطلاق، فيرد عليه الأب قائلًا إن الطلاق كان كالحادث الذي حتمًا سيقع لكنه منتظر الوقت المناسب! فالخلاف بينهما كان دائمًا وكانت نهايته الطبيعية الفراق. وعندما حاولت الابنة إقناع والدها بالاعتذار لأمها والعودة ببساطة للمنزل،

t.me/qurssan

أخبرها أنه لا يمكن لأن مشكلات الكبار مُعقدة!

٥) الأب أيضًا يمكن أن يصنع المعجزات كي لا يفترق عن صغاره، ولا يتنافى ذلك أبدًا مع مبادئ الذكورة!

حيث تتطور حبكة الفيلم بأن تحاول الأم إيجاد مربية، وهنا تنير في ذهن الأب فكرة تحفز وقوع الحدث الرئيسي الذي يدفع القصة للأمام..

والفكرة هي "طالما أريد رؤية أولادي كل يوم فلماذا لا أكون أنا المربية؟".

طبعًا لأن الفيلم ينتمي للنوع الكوميدي فإن فكرة التنكر في زي امرأة تصبح مقبولة بسبب طبيعة الفيلم من جانب، وبسبب التمهيد الذي قدَّمه السيناريو من جانب آخر، فالبطل ممثلٌ يُتقن تقليد الأصوات، وشقيقه خبير مكياج يُساعده على التنكر.

يبدأ الأب في مقابلة عائلته مجددًا، لكن هذه المرة وهو متخفٍّ في زي المُربية الإنجليزية التي اخترع لها اسمًا وهميًّا وهيئة مُقنعة للغاية.

والعجيب أن طليقته أصبحت مُغرمة بهذه المربية المزعومة وتثق بها بشكلٍ كبيرٍ جدًّا..

وهنا يأتي الدرس الأهم!

٦) سبب ثقة وحب الأم للمربية (الأب المُتنكر) هو جوهرة الفيلم اللامعة ورسالته الأعظم من وجهة نظري، فبخلاف الحكمة التي يعلنها البطل في الدقائق الأخيرة من الفيلم

t.me/qurssan

والتي سأتعرض لها لاحقًا، تكمن أهمية رسالة الفيلم التي لم تُقلْ بالكلمات في فكرة تعلق الزوجة بالخادمة الجديدة، فقد تمسَّكت بها لأنها رأت فيها ببساطة كل ما كانت تفتقده في والد أطفالها الذي ربما تعلم من أخطاء الماضي وعلم ما كان يُضايق زوجته فعلا ولم يُصر عليه، بل بدأ في فعل نقيضه وهو في ثياب المُربية العجوز!

فالمربية منظمة جدًّا، وحاسمة مع الأطفال، ليس هذا فقط، بل إنها تقوم بكل أعمال المنزل مما يجعل الزوجة تتشوق للعودة في المساء لبيتها الهادئ والذي لم تنعم به يومًا قبل طلاقها، وذلك هو موضوع الدرس التالي!

٧) رغم أنني شاهدتُ الفيلم مراتٍ عديدةً ولكنني لم أشاهده مثلما رأيته في هذه المرة الأخيرة، فمشهد المربية (الأب) الدؤوبة والمسيطرة على المنزل بشكلٍ يجعل منه جنة تتوق الأم للعودة إليها هو مشهدٌ عبقري، فالرجل هنا هو نموذجٌ لأي رجل في عصرنا عليه أن يبذل جهدًا من نوعيةٍ جديدةٍ إذا كان يريد لحياته أن تستمر بسعادةٍ وسط عائلته!

وهو مشهد يبشر بلمحةٍ طازجةٍ للمستقبل، مستقبل العلاقات أو ما يجب أن تكون عليه إذا ما كنا نريد لمؤسسة اجتماعية قديمة وتقليدية مثل مؤسسة الزواج أن تستمر.

فإذا كانت الزوجة لم تعد ربة المنزل التقليدية، فالزوج كذلك لا يمكن أن يكتفي بوظيفته القديمة التي اعتاد

t.me/qurssan

عليها في أزمنةٍ غابرةٍ، فالطرفان يعملان خارج المنزل فعليهما أيضًا المشاركة في أعباء الأسرة والأولاد كي تستمر الحياة، ولا مانع من أن يُسعد الرجل زوجته بإعداد مائدة طعام جميلة كعادةٍ متكررةٍ وليس في المناسبات النادرة.

وعندها فقط شكرت الابنة والدها، التي اكتشفت تنكره بالصدفة، على جعل أمها "سعيدة" فهي لم ترها كذلك منذ مدةٍ طويلةٍ جدًّا!

فالبطل قد عرف كم هو سهلٌ أن يجعل المرأة التي يحبها سعيدة، لكن للأسف بعد فوات الأوان، فهل يعطي ذلك أية إشارة للمشاهدين من الرجال كي يُغيروا اتجاه بوصلتهم قبل ما "تخرب"؟!

ملحوظة: الفيلم عُرض عام ١٩٩٣ فهل اتعظتم يا معشر الرجال؟!

٨) عندما استبد الفضولُ والحزن بالزوج وسأل طليقته عما تكرهه فيه (بينما هو في ثياب المربية)، أجابت أنها لم تُحب نفسها معه، فهناك صفاتٌ كثيرة كرَّهتها فيه، تسألها المربية لماذا لم تُخبريه فتقول الزوجة إنها أخبرته لكنه لم يأخذ شكواها بجدية أبدًا!

وهكذا الكثير من الأزواج يستخفُّون بكلام الزوجة ثم يُفاجأون عندما يكون الطلاق هو اختيارها الوحيد.

t.me/qurssan

٩) رغم أن البطل لديه الغيرة الذكورية العادية، إلا أنه لم يهدم المعبد على من فيه وهو يرى طليقته ترتبط بشخصٍ آخر، ولم يجعله ذلك يفقد صوابه وينسى هدفه الأصليّ وهو تغليب مصلحة الأبناء، فهذه المهمة ليست فقط مقصورة على الإناث.

وفي النهاية أخرجت تجربة الأب أفضل ما فيه، فقد عرف كيفية أن يكون حازمًا وحنونًا في نفس الوقت.

بل وقد اكتشف البطل أن الشخصية التي تقمصها هي مفتاح السعد بالنسبة له حيث استغلها في تقديم برنامج للأطفال.

١٠) وفي إحدى الحلقات التلفزيونية، يجيب البطل عن سؤالٍ لطفلة من جمهوره.. تسأله "أمي وأبي انفصلا فهل أنا فقدت أسرتي؟"

فيجيبها بصوتٍ دافئ أن الأسرة السعيدة ليس لها شكل واحد، فهناك أسر بدون أب، وهناك أسر بلا أم، وهناك أطفالٌ يعيشون مع الجدود، وهناك أسر أفرادها متباعدون لكن رباط الحب يجمعهم!

لذلك فالنهاية لم تأت تقليدية، ولم يرجع البطل لزوجته إرضاءًا للمشاهدين، بل ظلا منفصلين، لأن الطلاق من وجهة نظر صناع الفيلم ليس نهاية للمطاف ولا يُعد هدمًا للأسرة، ما دام هناك حب وفهم واحترام بين الجميع.

t.me/qurssan

(٢٣)
امرأة خطرة.. وامرأة أكثر خطورة!

"سيمين" امرأة قد يراها البعض خطرة.. منذ اللحظة الأولى يقدمها لنا الفيلم هكذا.. امرأة سعيدة لها ابنة وزوج وسيم وحياة مستقرة ومع ذلك فهي تطلب الطلاق!

ما سبب طلبها لأبغض الحلال؟ هي لا ترضى عن أحوال بلدها "إيران" وتتمنى أن تربي ابنتها في مجتمع أفضل..

يقول لها القاضي إن هذا ليس سببًا كافيًا لهدم البيت، فهو يعلم أفضل منها.. كما أن ابنتها ليست أفضل من سائر الفتيات الإيرانيات أيضًا من وجهة نظره..

قدمت سيمين وزوجها نادر طلبًا للهجرة منذ سنوات وأخيرًا تم قبوله.. وفي اللحظة الأخيرة يتراجع زوجها لأنه لا يريد مفارقة والده مريض الألزهايمر.. والذي اعتادت سيمين أن ترعاه.. طلبت سيمين الطلاق وطالبت بحضانة ابنتها.. كي تكمل هي تحقيق حلمها وحدها.. بينما قام زوجها برفض الدعوى وابتزازها.. إن كانت تريد الانفصال فلتترك له ابنتها..

نادر يعلم أنها لن تترك ابنتها.. وبالتالي ستضطر للبقاء والعدول عن قرارها.. ويتمكن هو من مراعاة والده..

يضطر نادر لتعيين خادمة، والخادمة التي أحضرها لتعويض غياب زوجته ورعاية والده هي امرأة مقهورة، فقيرة،

t.me/qurssan

ومضطرة للعمل، والأقسى أنها مضطرة لإخفاء عملها عن زوجها.

أولًا.. لأنها لا تريد أن تجرح كبرياء زوجها ورجولته لكونها تعمل لسداد ديونه..

وثانيًا.. لأنها سترعى رجلًا آخر، والد نادر الكبير جدًا في السن، وهو رجل في النهاية ومن العيب أن تتعامل معه، حتى ولو كان مسنًا.

هي تمشي بجانب الحائط وتخاف من كل شيء.. ابنتها الصغيرة التي تصحبها في عملها اليومي الجديد تعدها بألا تفشي سرها لأبيها.. هي تعرف نقطة ضعف أمها.. أما الأم التي بدأت في عملها كخادمة أو "مربية للعجائز" إن صح التعبير، فتحتفظ في مفكرتها برقم شيخ.. لا تكاد تتحرك إلا بعد طلب مشورته وفتواه أولًا..

فهي لا تستطع أن تقرر لنفسها.. هي ربما قوية وفاعلة في حل مشكلتها لكنها لا تعلم ذلك.. فالخوف يُسيطر عليها.. وخوفها يدخلها في سلسلة من المشكلات بسبب الأكاذيب التي تختلقها..

في رأي المجتمع ربما "سيمين" امرأةً خطرةً.. هدمت بيتها بلا سببٍ واضحٍ..

قرارها تسبب في الكثير من التبعات السيئة.. تسببت في المشاكل للجميع.. وضعت الجميع في مأزقٍ بلا داعٍ.. سوى رغباتها التي ليس لها وزنٌ لدى الآخرين.

أما الخادمة الفقيرة.. وهي النموذج الآخر للمرأة في

t.me/qurssan

هذا الفيلم.. فهي تحافظ على الوضع الاجتماعي الراهن، تساعد زوجها دون أن تجرحه، لذلك فهي امرأة صالحة من وجهة نظر المجتمع، رغم كونها تساعد على استمرار الركود والخوف والقهر حتى لو على حساب نفسها.

فهي تحافظ على السلطه الكهنوتية لآخر لحظةٍ وبدون أن تدري..

هي امرأةٌ مثاليةٌ من وجهة نظر المجتمع، لكنها في الحقيقة ربما هي الأخطر عليه وعلى مستقبله..

"سيمين" و"الخادمة الفقيرة".. مَن منهما المُخطئة ومَن التي على حق؟

وهل يوجد أصلًا خطأ أو صواب مطلق؟

قد نتفق أو نختلف حول الإجابة.. لأننا بالتأكيد سنختلف حول قصة هذا الفيلم.. لكننا بالضرورة سنشكر صانعه الذي جعلنا نفكر كل هذا التفكير!

"انفصال" هو الفيلم الإيراني الذي يطرح كل تلك التساؤلات المهمة والمزعجة في آنٍ واحدٍ على مدى ساعتين من المتعة الذهنية.. الفيلم من تأليف وإخراج "أصغر فرهادي".. حصل الفيلم على جائزة الأوسكار لأحسن فيلم أجنبي في عام ٢٠١٢.. أدعوكم لمشاهدته فهو فيلمٌ ممتعٌ يستحق المشاهدة!

t.me/qurssan

(٢٤)
وجع اسمه عيد الأمهات!

ليست بيني وبين اليوم عداوة شخصية، كنت أحبه وما زلت أحب أغنيته الشهيرة التي تبكيني، فأحيانًا أحب البكاء!

أتذكر عندما كنتُ صغيرة، وحماسة شراء الهدية البسيطة مع إخوتي، وإثارة إبقاء الأمر سرًا على أمي.

أمي كانت تكشف سرنا دائمًا، لكن عطاءها لا تضاهيه كل الهدايا التي أتينا أو سنأتي بها يومًا.. ولا كل الإثارة التي راحت سدى بسبب الذكاء الخاص الذي يميز "ماما" مثلها مثل سائر الأمهات.

عندما أصبحت أنا الأم، وربما لأسبابٍ أخرى، لم يعد اليوم يذكرني بأي شيء طيب..

يؤلمني الضغط العاطفي الذي يصل لدرجة الابتزاز أحيانًا، والذي أراه كثيرًا في مجموعة أطفال يقفون في فناء المدرسة يغنون أغاني لا معنى لها، بينما أحدهم يبكي ربما لتأخر أمه في الوصول للحفل، أو ربما لخوفه من ألا تنال هديته إعجاب "ميس همّت".

لا أحب إحساس الحيرة لدى أفراد الأسرة، الذي يدفعهم للبحث عن شيء يعبِّر عن امتنانهم لأمهم، والذي عادة ما ينتهي بشراء "خلاط كهربائي" لصنع المزيد من الموز باللبن اللذيذ من يد "ماما"..

t.me/qurssan

كان اليوم وما زال سببًا في الخناقة السنوية المستمرة بين صديقتي "فلانة" وبين زوجها، فهو يريد الذهاب لأمه أولًا ثم المرور على أمها في نهاية اليوم، وهي تراها إهانة لا تُغتفر.

لم أعد أرى في اليوم إلا "سبوبة" وفرصة للاسترزاق لمحلات الهدايا والزهور، مثله مثل عيد الحب.. وإن كان شراء الزهور هو الميزة الوحيدة لمثل هذه "الأعياد"..

لم يعد الأمرُ يبهجني بعد موت معظم أمهات صديقاتي، بل وبعض أمهات صديقات ابنتي..

هل تُساوي الفرحة التي تجدها الأمهات في هذا اليوم حسرة أطفال بعدت عنهم أمهاتهم أو بعدوا هم عنهن لسببٍ أو لآخر؟

منذ طفولتي وأنا أسمع مقولة أمي "مفروض يسموه عيد الأسرة علشان الأيتام".. لم أكن أفهم وقتها "حنبلة" ماما، والآن فهمت وقدَّرت لها شعورها.. لكنني أيضًا لا أوافق..

أيكفي أن نجعله "عيدًا للأسرة"؟

طيب.. ما ذنب أطفال الشوارع والمحرومين من العائلات؟

يُحزنني اليوم لأنه يذكرني بأشياء أخرى فهمت مع الوقت أنها مجرد شر نزينه بأنفسنا لأنفسنا.

فكثيرًا ما أزعجتني عبارة "الأم رمز العطاء"..

أفهم أن تحب الأم أولادها حبًّا غير مشروطًا..

لكن أن تقدم عطاءً بلا مقابل؟

t.me/qurssan

أشعر بالغرابة لمجرد كتابة هذه العبارة!

لصالح من نلقن صغارنا "الأخذ بلا مقابل" منذ نعومة أظفارهم؟

"الأمهات تصنع المعجزات"، "سوبر ماما"، "الأم الخارقة" التي "تتحمل" ما لا يطيقه الرجال، "الأم رمز التضحية"..

هذه مجرد نماذج من المفاهيم التي ترفع سقف التوقعات المنتظرة من النساء بلا حدود، وتعطي المزيد من الامتيازات والحقوق لبعض أفراد الأسرة على حساب البعض الآخر، مزيد من التشويه المُتعمد للأسرة وللمجتمع بالضرورة..

والعجيب أنه كلما تناست المرأة "الأم" رغباتها الشخصية كـ "إنسان"، وجعلت من نفسها "شمعة تحترق" للآخرين.. كلما استحقت لقب الأم المثالية بجدارةٍ منقطعة النظير!

وللأسف فنحن النساء نستعذب أحيانًا هذه المفاهيم..

ربما نُحب إحساسنا بهذا السمو المُزيف الذي يخلق معنى جميلًا لأعباء نضعها- ويضعها المجتمع طبعًا- على أكتافنا بينما نحن مبتسمات في سرور.

وفي النهاية يصعب على المجتمع أن يستسيغ فكرة أن للمرأة هذه حياة عريضة متنوعة، قد يشكل الأطفال جزءًا منها أو لا يشكل.. قد يشكل الزواج جزءًا منها أو لا..

ليس بالضرورة أن تصبح كل أنثى على وجه الأرض "أم" كي تحصل على الدرجة النهائية في الاختبار!

t.me/qurssan

(٢٥)
رسالة إلى ابنتي

ابنتي الحبيبة.. ربما ستقرأين رسالتي تلك بعد عدة سنوات من الآن.. وأرجو أن يتسع صدرك لكلماتي.. ربما وجدتِ فيها شيئًا يستحق الاهتمام..

صغيرتي.. يقولون إن "القرد في عين أمه غزال"، وأنت جميلة جدًّا يا صغيرتي، لا أراك جميلة لأنني أمك، ولكن لأنك صنيعة الله أولًا، ولأنني، ثانيًا، قد تعلمت منك الحب بلا شروط.

ولذلك فأنا أصحح لكِ المثل الشعبي الآن، فالقرد في عين أمه ليس غزالًا، ولكنه قردٌ، وهي تقبله كما هو.. وتحبه أيضًا..

والقرد فعلا جميل.. ليس في عيون والدته فقط بل لأن الله قد خلقه هكذا..

أتمنى أن تصححي المثل لأحفادك في المستقبل عندما يلتفون حولك ويستمعون لحكاياتك القديمة بعد سنواتٍ طويلةٍ من الآن، أو ربما سوف يكون لك أنت رأي آخر حينها!

من فضلك تمسكي برأيك أنت وانسي ما قلته لك للتو، فعقلك ليس أقل من أن يعرف وحده الحكم الصحيح للأشياء..

أعتذر لكِ لأنني أخطأتُ مجددًا.. فلا يوجد ما يُسمى

t.me/qurssan

بالحكم الصحيح.. فليس في هذه الحياة صواب مُطلق ولا خطأ مُطلق.. وسوف أترك لك الحُكم في هذه المسألة أيضًا.

عزيزتي.. لا تستهيني بنفسك كونك أنثى..

أتمنى عندما يصلك هذا الكلام لتقرأيه.. أتمنى حقا أن يثير استغرابك..

فليس معقولًا أنه بعد عشرين عامًا من الآن يظل هذا الكلام "ساريًا" ويضل كل شيء "على قديمه"، أتمنى ألا تبقى الأشياء كما كانت دائمًا.

سيبدو لكِ كلامي قديمًا عندما تقرأينه، أو أتمنى أن يبدو كذلك وقتها.

أتمنى أن تتغير الأحوال ليكون كلامي هذا قديمًا، ويصبح ما أتمنى حدوثه صار من المُسلمات في يومٍ ما وأنت لا تزالين على سطح الأرض..

وفي الحقيقة يا عزيزتي، فإن ما أقوله هو بديهي جدًّا في حد ذاته، ولكن القلوب أحيانًا تصبح عمياء، وقد كانت كذلك لأزمانٍ وأزمان.

ما أقوله هو أنك خليفة الله سبحانه في هذه الأرض، فلا تستهيني بنفسك، كإنسانة أولًا، وكأنثى ثانيًا.

وكأنثى.. تأكدي أن دورك لا يقتصر على كونك نبع الحياة، فلا تصدقي أن دورك على هذه الأرض محدودٌ.. مهما قيل لكِ.

لا تبيعي عقلك للآخرين، لا تسلميه على طبقٍ من فضة

t.me/qurssan

لأي إنسانٍ آخر مهما كان، حتى ولو كنت أنا..

فأنا سأتركك في هذه الدنيا يومًا ما وحدك، وأتمنى أن تكوني أنت نفسك ولا أحد غيرك.

لا أتمنى أن أراكِ طبيبة ولا مهندسة، ولا أتمنى أن تهوي القراءة والكتابة مثلي، ولا أتمنى أن أراك زوجة أو أمًّا، رغم أنه سيكون من الرائع أن أحمل أبناءك يومًا ما.. بل إنني أتمنى ذلك بشدةٍ..

ولكنني أريدك أن تكوني ما تريدينه أنت..

لا تكوني شخصًا غير نفسك وشخصك.

عزيزتي.. أنتِ قد تكونين قادرةً على صنع المعجزات، ولكن لا تنسي أن تكوني سعيدةً أولًا..

لا تسخّري نفسك لتحقيق أحلام الغير مهما كانوا، فلديك حياة واحدة فقط، وهم لديهم مثلها.

الإيثار صفة جميلة يا ابنتي.. لكن لا تذوبي في تلك الفكرة وتنسي نفسك. اهتمي بنفسك أولًا..

كل مرة ستركبين فيها الطائرة سيقولون لكِ إن من إجراءات السلامة أن تهتمي بنفسك أولًا عند حدوث أي مكروه.

مهما كان مَن حولك ضعيفًا أو صغيرًا وبحاجة للمساعدة.. ابدئي بنفسك أولًا.

الأمر ليس سهلًا لأننا لم نعتده، اعتدنا أنه أمرٌ مذمومٌ، ولكن شركات الطيران تنصحنا بذلك في الأزمات.. فالأولى

t.me/qurssan

أن نفعل ذلك في أوقات الرخاء..

صدقيني لن تقدري على مساعدة غيرك وإسعادهم قبل أن تسعدي نفسك أولًا..

أولا تصدقيني.. فالحُكم لكِ دائمًا.. أنت أدرى بحالك دائمًا.. لكنني أتمنى أن تتبعي نصيحة شركات الطيران..

ارفعي رأسك دائمًا، واخفضيه أحيانًا، واحرصي ألا تكوني ذليلةً بين العظماء، ولا عزيزة بين المساكين.

ستقابلين أصدقاء وأحباء كثيرين، لا تذوبي في الآخرين مهما حدث، تمتعي بمساحة آمنة بينك وبين الجميع، ومنذ البداية..

واعلمي أنه عندما تكسرين هذه المساحة بإرادتك، يكون من الصعب جدًا استعادتها سوى بثمنٍ كبيرٍ جدًا.. قد يصل إلى حد خسارة الأحباء أنفسهم، أو بالاستسلام لعدم وجود المساحة، وبالتالي خسارة نفسك!

نفسك هي أغلى ما تملكين يا صغيرتي.. فانتبهي!

قيل لي قديمًا إنه يجب أن أشرك أصدقائي في لحظات الفرح، لكن في الحزن لا ينبغي أن ألجأ لغير الله، فلن يشعر بي غيره..

لكنني عرفتُ أن اللجوء للبشر ليس سمة الضعفاء، البشر هم خلق الله سبحانه، وفي قلوبهم بعضٌ من رحمة استودعها الخالق لديهم.

اطلبي المساعدة حين تحتاجينها، فلهذا خُلقنا، من أجل

t.me/qurssan

أن يُكمل أحدُنا الآخر.

وكوني في عون الجميع، بقدر طاقتك..

واجعلي من نفسك مصباحًا يضيء أي مكان تسيرين إليه مهما كان المكان مظلمًا، ولكن لا تنسي، بقدر طاقتك فقط، فلو انطفأ نورك مَن سيُعيرك نوره حينئذ؟!

كوني جميلة، فالجمال ليس عيبًا مثلما علموني أنا وبنات جيلي، واجعلي كل من يرى ابتسامتك الجميلة يتذكر رحمة الله في الأرض ويُسبح بحمد الله البديع أحسن الخالقين.

صغيرتي.. إذا حددتِ أهدافك في الدنيا فلن يوقفك أحدٌ مهما كان، يمكنكِ أن تكوني ما تريدين أن تكونيه، إذا كنت حقا تريدينه بقوة.

ليس هذا كلامًا سمعته في درس للتنمية البشرية، بل تعلمته من التجربة، وعندما أوقن أنني خليفة لله صانع هذا الكون بمعجزاته، أشعر أنني بعقلي يمكنني أن أهزم أي شيء.

أنت بعقلك أقوى من كل المخلوقات وأعلى من كل الجبال، وما دام الأمر كذلك فيمكنك أن تغيري الكون، لكن احرصي على أن تغيريه للأفضل، ولا تجعلي لأحلامك حدودًا، لكن لا تحيدي عن الحق أبدًا.

وقبل كل هذا.. استمتعي!

واحذري من شيئين.. الخوف والندم!

فالحياة أقصر من أن نقصّرها بمثل هذه المنغصات.

t.me/qurssan

لا تخافي من الخطأ، فالدروس المفيدة لا تأتي بحضور المحاضرات، بل تأتي بارتكاب الأخطاء.

عزيزتي.. أخبرتك منذ لحظات أنك قوية جدًّا.. أريد أن أخبرك كذلك أنك.. ضعيفة جدًّا!

نعم ما قرأتيه للتو صحيحٌ.. عندما يصعب عليك أمرٌ ما لدرجة تهديد سلامك النفسي فعذرك أنك ضعيفة.. تعقيداتك التي خلقها الله لك كي تصبحي ذلك المخلوق الفريد يجعلك هشة في بعض الأحيان.. والحفاظ على راحة بالك وتوازنك قد يضطرك إلى التسليم بذلك والتصالح معه.. فمحاربة طواحين الهواء ليست هي الحل دائمًا.. ففي الاستسلام راحة أحيانًا.. وفي الاستسلام حكمة.. وقوة.. فلا تخجلي من الضعف وقتها.. لأنه دليلٌ على القوة!

القوة في معرفة حدودك والتسليم بها بلا مكابرة، فالكون ليس تحت سيطرتنا الكاملة مهما حاولنا ادِّعاء ذلك.. بكل أسفٍ.. أو ربما لحُسن الحظ!

السعادة!.. السعادة هي هدف في حد ذاته، لا يأتي لنا على طبق من فضة، بل نسعى إليه سعيًا، ولا قيمة لأي أهداف أو أحلام تحققينها إن لم تستمتعي.

احرصي ألا يمر يومٌ بدون أن تشعري بالسعادة وتضحكي، حتى لو كان ذلك لغير سببٍ مُهم.

لا يمر يومٌ إلا وتفعلين شيئًا تحبينه حتى ولو صغيرًا.. بصفر احتساء كوب شاي ببطء على كرسيكِ المُفضل، أو الرقص على أغنيةٍ تافهةٍ تُحبينها.

t.me/qurssan

الرقص!.. لا تصدقي أن الرقص عيبٌ! فالمولود الصغير حينما يستطيع الوقوف مستندًا إلى أبيه، فأول شيء يفعله هو أن يرقص عند سماعه لأي إيقاع موسيقي، وأحيانًا يرقص في صمت.. الرقص فطرةٌ من فطر الطبيعة.

واللعب!.. اللعب يا صغيرتي مهم جدًّا.. اللعب هو كل شيء.. أنا كبيرة ولكنني أحتاج للعب بالمكعبات والعرائس والكرة والأرجوحة أيضًا!

ليس لأنني حرمت منها في طفولتي، ولكن لأن اللعب غريزة بشرية وفطرة طيبة..

اللعب، والضحك، والرقص على الإيقاع.. يفعلها الصغير في شهوره الأولى من الحياة.. اعلمي أن هذه الأشياء أمورٌ طيبة جدًّا.. فقد تعلمها هذا الرضيع بالفطرة التي خلقها الله، فلا تستمعي أنتِ لمن يُحاول أن يُقنعك بغير ذلك أبدًا!

صغيرتي.. أنتِ تستمعين لي وتستمعين لغيري، الكثير من الهراء يُقال بسهولةٍ في كل وقت!

لكن حياتك ملكك أنتِ فقط، ولن يحياها أحدٌ غيرك، وكل يوم يمر عليك في تلك الحياة هو يومٌ جديدٌ وصفحةٌ جديدةٌ وفرصةٌ جديدةٌ.. انتهزيها بالشكل الذي يُرضيكِ.. أنتِ أولًا..

t.me/qurssan

(١) سكرين شوت ٩

(٢) فن اللكاعة! ١٦

(٣) لماذا نُحب الأفلام المصرية القديمة؟! ٢٤

(٤) قلبي دليلي! ٣٠

(٥) كراكيب الحياة! ٣٧

(٦) طبيب نفسي صغير في جيبك! ٤٤

(٧) رحلة راهبة بين راحة الجهل وقلق المعرفة! ٥١

(٨) مدينة المُسدسات ٥٥

(٩) إلى صديقتي التي في السماوات ٦٣

(١٠) موت فاتن وحياة صباح ٦٨

(١١) إنه يُحب الجمال! ٧٣

(١٢) لماذا يجب أن نتعاطف مع الغانيات؟! ٨١

(١٣) This is Egypt يا عبلة! ٨٦

(١٤) أهو كله برتقال! ٩٥

t.me/qurssan

(١٥) كسر المُعتاد مع إسعادا ١٠٠

(١٦) اللمبي.. كلاكيت أول وعاشر مرة! ١٠٣

(١٧) محمد رمضان.. أو كيف تُدافع عن المرأة بطريقةٍ ذكوريةٍ؟! ١٠٧

(١٨) هل المرأة كائنٌ مُقدس والرجل كائنٌ مُدنس؟! ١١٢

(١٩) وقفة الكشك! ١٢٢

(٢٠) رجال لا يعرفون ماذا تريد النساء! ١٢٨

(٢١) الرجل الوحيد في اجتماع مجلس الآباء! ١٣٤

(٢٢) مسز داوتفاير.. ودروس مستفادة من فيلم جميل عن الطلاق! ١٤١

(٢٣) امرأة خطرة.. وامرأة أكثر خطورة! ١٤٧

(٢٤) وجع اسمه عيد الأمهات! ١٥٠

(٢٥) رسالة إلى ابنتي ١٥٣

t.me/qurssan

لا أعرف إن كان يتوجّب عليّ أن ألعنها أم أشكرها على ما فعلته بي! تلك المجلونة التي أصابتني بالطمع وأفقدتني عقلي.. يا تُرى هل سيكون لديّ الوقتُ للاطلاع على كل تلك اللقطات مجددًا في وقتٍ من الأوقات والاستفادة منها؟ أم أنني سأظل منشغلة، ولن أعود مجددًا لتلك الصور؟ أم أنني سأعود إليها بعد فترة طويلة، ولن أتذكر سبب التقاطي لها؟! أم أنني سأتذكر سبب التقاطي لها، لكنني ربما سأصبح غير مهتمة حيالها! أم أن هاتفي سوف "يعطل" وبالتالي سأشتري هاتفًا جديدًا ولن تكون لديّ هذه الفرصة لأُلقي نظرة أخيرة على ما خزّنته على هاتفي القديم؟ والأدهى أنني أن أتذكر وقتها كل ...

دار تويا للنشر والتوزيع

t.me/ourssan